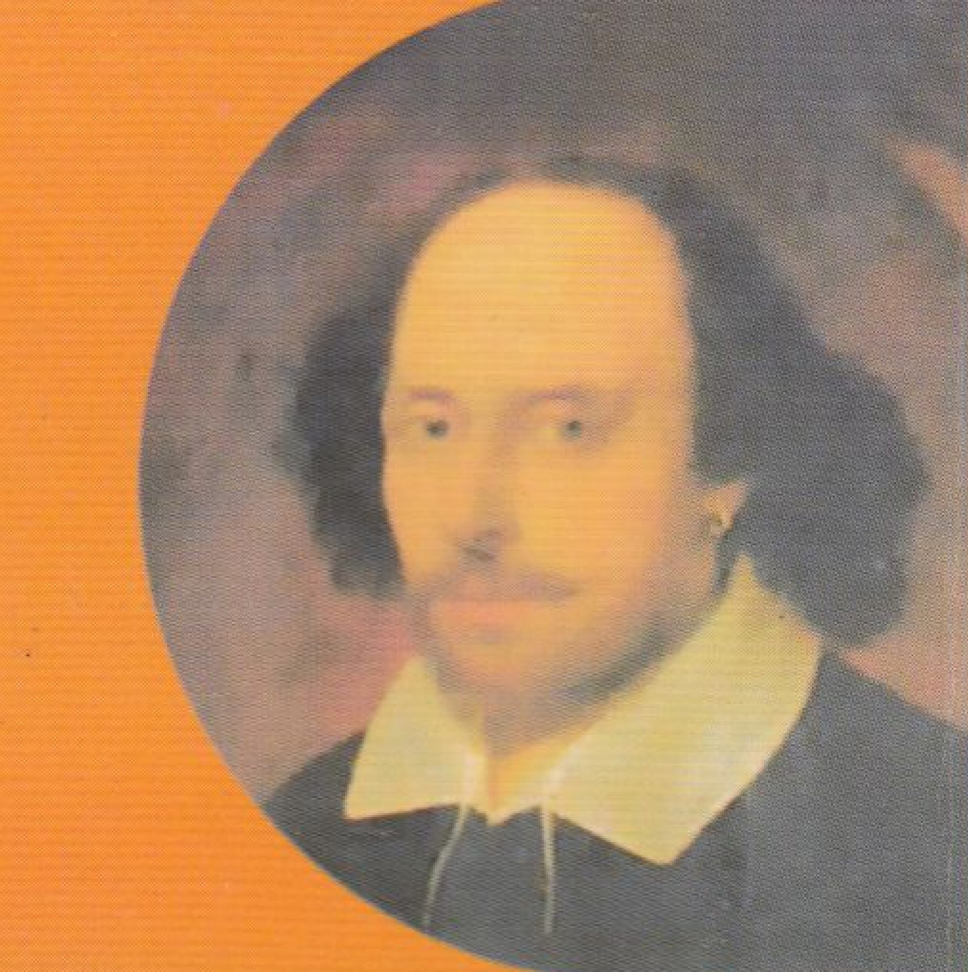


الأعمال الكاملة

وليام شكسبير

الليلة الثانية عشر



العالمية للكتب والنشر

الليلة الثانية عشر

وليام شكسبير

ترجمة

إبراهيم جلال



العالمية للكتب والنشر

الليلة الثانية عشر

وليام شكسبير

الطبعة الأولى: 2010

رقم الإيداع: 9887/ 2009

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة



الناشر



---

١٥ الفاروق عمر بن الخطاب - الطالبية - فيصل - الجيزة

تليفون وفاكس: ٣٧٢٢٢٧٢٧ محمول: ٠١٢٢٥٩٥٩٧٢

المقدمة

عصر شكسبير:

شهد عصر شكسبير انقلابًا واسعًا في الحياة الاجتماعية، فظهور الطبقة المتوسطة، والحكومة المركزية في البلاد، واختفاء المعتقدات الدينية التي كانت تسيطر على أفكار شعب إنكلترا في القرون الوسطى، كل هذه العوامل أدت إلى انتقال إنكلترا إلى مرحلة عصرية حديثة، فأصبحت بالتالي أمة متطورة ومزدهرة.

وقد شهد شكسبير هذه المرحلة من تاريخ إنجلترا، تلك المرحلة التي قدس أصحابها مسألة تحقيق الذات (أي أن يحقق المرء كفاءاته الشخصية). كما شهد مسألة احترام الذات وحرية الرأي والعمل.

نرى أن هذه القضايا استأثرت باهتمام شكسبير كثيرًا حتى كانت مصدرًا لمواضيعه ومسرحياته، ويبدو لنا هذا إذا تناولنا أية مسرحية له ودرسناها جيدًا، فيتبين لنا أن الممثلين يعملون كأفراد، كما أن المواقف والحوادث الدرامية تنبع من دوافع حثيثة جدًا تعتلج في نفسية الممثل.

تاريخ المسرحية ومصدرها:

نشرت هذه المسرحية سنة 1623، وكتبها شكسبير سنة 1600، وقد سميت "الليلة الثانية عشرة"، أو "كما تريد"، وهي قريبة الشبه بقصة إيطالية تسمى "أنجاني"، وهدفها حب الخادم لسيدته بتزوير خطاب كأنه مكتوب منها له، وترشده إلى عما تحبه من ملبسه وحركاته.... الخ. ولكن لما يتم تنفيذ ما في الخطاب تعتقد السيدة أنه مجنون.

ويعتقد أن شكسبير بنى أغلب حوادث مسرحيته على هذه القصة، ويقول بعضهم أنها سميت كذلك لوقوعها في الليلة الثانية عشرة بعد عيد الميلاد.

خلاصة المسرحية:

تقع أغلب حوادث المسرحية في مدينة إلليريا بإيطاليا، حيث كان الدوق أرسنو يعشق سيدة من أشراف المدينة تسمى أوليفيا، ولكنها لم تبادله حبًا بحب، ولا أي خطيب آخر منذ وفاة أخيها، بحجة حزنها على أخيها الميت.

وكانت هناك أخت توأم سيدة من أهل مسيني تدعى "فيولا"، وأخوها يدعى سبستان، وكان يظن أنه غرق في البحر في حين نجت أخته فيولا بمعاونة ربان السفينة، وعندما سمعت فيولا عن الدوق فكرت في أن تخدمه بوصفها فتى (سيزاريو)، فارتدت ملابس تشبه ملابس أخيها، وقدمها للدوق احد اتباعه، فيميل إليها الدوق ويخبرها بحبه لأوليفيا ويستخدمها كوسيط بينه وبينها.

وعندما تقابلها أوليفيا تقع في غرامها (على انها فتى)، ولذلك تلح عليه في أن يعود إليها عدة مرات، وتعترف صراحة بهذا الحب، ولما كانت فيولا لا تستطيع إظهار شخصيتها فتتركها عند ذلك وتخبرها بأنها لن تعود مرة ثانية.

ويظهر سبستان الذي ظن أنه غرق، وكان يرتدي ملابس تشبه ملابس أخته فيولا، فاعتقدت أوليفيا أنه فيولا، وأخذته في منزلها وعرضت عليه أمر زواجها منه، وعقد عليها بحضور القسيس الخاص لأوليفيا، ثم ترك بعد ذلك أوليفيا وذهب للبحث عن الريان الذي أنقذه، وعند عودته يجد أوليفيا وفيولا والدوق معًا، فيتعارف الأخ والأخت وينكشف الغموض وتنتهي الرواية بزواج الدوق بفيولا، والدوقة بسبستان.

بعض أشخاص المسرحية:

أرسنو:

أهم أشخاص المسرحية من الرجال ولكنه ليس بطلها، وصحيح أن أوليفيا مع أنها لا تبادله الحب تعترف اعترافًا كريمًا بأنه شريف الخصال، ولكن بصرف النظر عن هذه الشهادة، يبث في قلب فيولا حبًا سريعًا عميقًا كالبحر، مما يحمله هذا الحب على إهمال أعماله ومسراته ويلجأ إلى الموسيقى والتنهدات لتخفيف لوعته.

وعندما تصدّه محبوبته أوليفيا بحجة حزنها على فقد أخيها يكتفي برسائل الغرام التي يقوم بها سفيرها فيولا (المتنكرة في زي فتى)، وتغرم أوليفيا بحب هذا الفتى وتصارحه به، على أنها عندما تقابله وتظهر له حبها لفتاه (فيولا) يتميز غيظًا ويكاد يأمر بقتلها ومحبوبها، ولكن شخصية فيولا تعرف على حقيقتها وترضى أوليفيا أخيرًا بحبه.

سير توبي بلش، وسير أندروز أجتشك:

شخصان إنجليزيان في إلليريا، سير توبي سكير متطفل على ابنة أخيه أوليفيا يعبث في منزلها، وعندما يرى أنها لا تطيق وجوده يفكر في اصطحاب سير أندروز الماكر بوصفه خطيبًا لها، ولكنه يعلم أن نجاح الخطة ضئيل، ويعترف أن وقته قد ضاع سدى، وسذاجته أحيانًا تثير الشجون؛ فإنه يعترف بحب ماريا وصيفة أوليفيا، ولكن مع سذاجته فهو مخلص، وعندها يغريه سير توبي على المشاجرة مع فيولا ويضطر إلى مبارزة سيزاريو ويقدم مساعدته ليخلص من العقاب الذي سينزل به.

مَلْفولْيو:

رصين، فظّ عبوس لكنه أبيّ عزيز النفس ثابت الخلق، يسرف في التمسك بمبادئه الأخلاقية، وهو ليس محبوبًا ولكنه ليس ماجنًا أو محتقرًا، وضياعه للخاتم الذي كان مكلفًا بإرجاعه إلى سيزاريو (فيولا)، وأسلوبه في الكلام أسلوب سيد مثقف ويدل على رقة شعوره.

يعد ملفوليو مسئولًا عن شرف الأسرة كما يبدو عند لومه، ونراه في قمة عظمته حتى وهو مقيد بالسلاسل ومسجون في حجرة مظلمة.

أوليفيا: سيدة كريمة، رشيقة القوام.

فيولا: أخلاقها جميلة في جملتها، تظهر ولاءها لأوليفيا وتخفي حبها من أجلها، وأما حبها للدوق فلا يشعر به لانشغال قلبه بحب أوليفيا.

ماريا:

خادمة لأوليفيا ولكنها ليست خادمة فحسب كما يصرح بذلك ملفوليو في خبثه وهي تتجاذب الحديث مع توبي وسير أندروز ولكن لغة كلامها تدل على أنها مثقفة.

أما الخادم العبوس ملفوليو فإنها تكرهه لرعاية سيدتها له.

سبستان: أخو فيولا.

أنطونيو: ضابط بحري صديق سبستان.

ضابط بحري آخر: صديق فيولا.

فالنتين، كوريو: تابعان للدوق.

فابيان، فرست (ماجن): خادمان لأوليفيا.

لوردات - قسيس - بحارة - موسيقيون وخدم آخرون تجري الأحداث في مدينة في إلليريا وشاطئ البحر بقربها.

ترجمة: إبراهيم جلال

الليلة الثانية عشر

الفصـــــل الأول

المنظــر الأول
قصـــر الدوق

(يدخـل الـــدوق وكـــوريـــو ولوردات آخـرون وحاشيتهم من الموسيقيين)

الدوق: إذا كانت الموسيقى (كما يزعمون) غذاءً للحب فاستمروا في العزف، فإن رنينها يبقى طويلًا في الآذان، ويؤثر في نفسي كتأثير الرياح العطرة على شاطئ مزروع بالبنفسج فتنشر شذاه، مهلًا، كفى عزفًا؛ لأن الموسيقى ليست مشجية كما كانت من قبل، يا روح الحب ما أسرع جريانك في الجسد فتجددين نشاطه، فإنك كالبحر يتسع لكل ما يقذف فيه.

كوريو: هل نذهب للصيد يا سيدي؟

الدوق: ماذا نصيد يا كوريو.

كوريو: الغزال.

الدوق: نعم، أحب ما أمارسه من رياضة وفن فإني عندما وقعت عيناي على أوليفيا لأول مرة ظننت أنها طهرت الهواء من عيوبه، فرأيتها كالغزال، وقد طاردتني الشهوات كالبهائم.

(يدخل فالنتين)

كيف الحال، هل لديك أنباء منها؟

فالنتين: اصفح عني يا سيدي؛ إني لم أستطع الوصول إليها، ولكن خادمتها أجابتني بأن سيدتها تقول أن الدنيا لو اجتمعت فلن يراها بدون قناع إلا بعد مضي سبع سنوات كي تبقى ذكرى أخيها الميت ماثلة أمامها إلى الأبد.

الدوق: حقاً، فمن يكن في قلبه هذه الرأفة والوفاء لأخ ميت سيكون حبها عظيماً، فأعضاء جسمها هو تاج جمالها النادر الذي لا ينعم به إلا ملك واحد وهو الحب.

تقدم أمامي إلى الحديقة الغنّاء فإن أفكار الحب أفضل ما تترعرع تحت ظل الأشجار الوارفة والأزهار اليانعة.

(يخرجون)

❖ ❖ ❖

المنظـــر الثاني
شـاطـئ البحـــر

(تدخل فيولا ويدخل ريان وبحارة)

فيولا : أين نحن أيها الرفاق؟

الربان : هذا إقليم إلليريا يا سيدتي.

فيولا : وماذا نحن فاعلون هنا، أتمزح وأخي في دار النعيم؟ أرجو الله أن يكون من الناجين فلم يغرق.

الربان : لقد كان حظك سعيدًا إذ نجوتِ من الغرق.

فيولا : وأخي المسكين! إني لأرجو أن يكون صادفه هذا الحظ مثلي.

الربان : حقًا يا سيدتي، ولأبعث فيك الأمل فبعد أن تكسرت سفينتنا، ونجوت أنت وبعض الرجال، رأيت أخاك يربط نفسه إلى سارية لم تبتلعها الأمواج مثله مثل أرين المغني الإغريقي الذي استقر على ظهر درفيل ونجا بنفسه.

فيولا : خذ تلك النقود لقولك هذا، فهل تعرف هذا الإقليم؟

الربان : نعم أعرفه لأني ولدت على مقربة منه.

فيولا : من يحكمه؟

الربان : دوق شريف ونبيل الخصال.

فيولا : ما اسمه؟

الريان : أرسنو.

فيولا : أرسنو! لقد سمعت عنه من والدي، أهو أعزب؟

الريان : على ما أظن، فقد تركت هذا الإقليم منذ شهر، وكان الناس يهمسون انه يحاول كسب حب أوليفيا الجميلة.

فيولا : ومن هي أوليفيا؟

الريان : هي سيدة صالحة ابنة كونت، مات أبوها وتركها في رعاية أخيها الذي مات بعد قليل.

فيولا : يا ليتني أخدم تلك السيدة ولا يكشف العالم حقيقة أمري حتى أصل إلى ما أريد.

الريان : إنه من الصعب لأنها ترفض أي خطيب.

فيولا : إن آدابك جمة أيها الريان، فإني أعتقد أن عقلك يلائم أخلاقك الحسنة في ظاهرها، وأتمنى أن لا يعرف أحد بأمري وتساعدني فتقدمني له كخادم أستطيع الغناء بأنواع الموسيقى المختلفة، وما عليك إلا أن تلتزم الصمت وتترك الباقي لتصرفاتي.

الريان : ستكونين خادمة، وسأحفظ سرك.

فيولا : شكرًا لك، هيا بنا إلى الأمام.

(يخرجون)

◆ ◆ ◆

المنظـــر الثالث
منـــزل أوليفيــا

(يدخل سير توبي بلش وماريا)

سير توبي: ما الذي تقصده من تأثرها وشدة حزنها على موت أخيها؟

ماريا: إن سيدتي ابنة عمك تعارض في أن تأتي متأخرًا من الليل.

سير توبي: فلنعارض قبل أن ترفع الأمر للقضاء.

ماريا: يجب أن يكون عملنا قانونيًا وحسب الدستور.

سير توبي: بلا شك، سيكون حسب دستور مدينتنا.

ماريا: إن الشراب سيدمر صحتك، فماذا عن الفارس المخبول الذي أتيت به ليخطبها.

سير توبي: السير أندروز أجتشيك؟

ماريا: نعم هو.

سير توبي: هل يضارعه في طول قامته أي رجل في إلليريا.

ماريا: وهل هذا يجعل أفعاله وأفعالك ملائمة؟

سير توبي: إن إيراده ثلاثة آلاف بندقي في العام.

ماريا: سيصرف كل ماله وفوائده لأنه طائش ومسرف ومبذر.

سير توبي: تبًا لك! إنه يعزف ويحسن التكلم بثلاث لغات أو أربع، بل

ومنحته الطبيعة كل المواهب الطيبة.

ماريا : بل كل المواهب الحمقاء؛ فإنه مشاكس ومحب للشجار، ويظهر بمظهر الرزين، وإنكما تجتمعان كل ليلة على الشراب وتسكران.

سير توبي: انا أشكرك وأشرب نخب ابنة أخي، فكوني رزينة أيتها الفتاة! وها هو سير أندروز أجتشيك قادم.

(يدخل سير أندروز أجتشيك)

سير أندروز: سير توبي بلش! ما وراءك يا سير توبي بلش؟

سير توبي: إنك لطيف يا سير أندروز.

سير أندروز: فليبارك لك الله يا سيدتي.

ماريا : وانت ايضًا.

سير أندروز: من هي هذه؟

سير توبي: وصيفة ابنة أخي.

سير أندروز: تكلمي أيتها الفتاة اللطيفة لأني أريد أن أعرفك أكثر.

ماريا : اسمي مريم.

سير أندروز: أيتها الفتاة الطيبة، تقدمي وتكلمي.

سير توبي: أنت مخطئ أيها الفارس، واجهها وهاجمها في الكلام، إذا تركتها تذهب هكذا فإنك لا تستطيع في المستقبل أن تسل سيفك للدفاع عن شرفك.

سير أندروز: سترحلين حتى لا أستطيع ان أسل سيفي! وهل تظنين ان في قبضة يدك رجل أحمق؟

ماريا: ليست يدك يا سيدي في قبضة يدي.

سير أندروز: مهلًا، ستكون، وها هي ذي يدي أمدها لك.

ماريا: ولكن كل امرئ حر في إبداء رأيه، فمد يدك إلى مخزن الخمور ودعها تناولك لتشرب.

سير أندروز: وما الذي تقصدين؟

ماريا: إني إذا تركت يدك أقفرت منه.

سير توبي: أيها الفارس، إنك لفي حاجة إلى كأس من الخمر؛ لأني لم أرك مهزومًا أبدًا في معركة كلامية كما أنت الآن.

سير أندروز: لا أبدًا، لم يحدث ذلك في حياتي على ما أذكر.

سير توبي: لا شك في ذلك.

سير أندروز: سأرحل غدًا إلى وطني يا سير توبي.

سير توبي: ولم ذلك أيها الفارس العزيز؟

سير أندروز: سأرحل غدًا لأن ابنة أخيك لا تقابل أحدًا، هذا إلى أن الكونت القريب منها يطلب يدها.

سير توبي: إنها ترفضه؛ لأنه أعلى مرتبة منها سواء في المركز الاجتماعي أم في السن أم في الذكاء، وليس هناك من الأسباب ما يجعلك تتنحى عن خطبتها.

سير أندروز: سأمكث شهرًا آخر، وإني لرجل غريب في أطواري، وأحب حفلات التنكر والمرح أحيانًا.

سير توبي: ما هذه السخائف أيها الفارس، هل تجيد رقص الجليارد؟

سير أندروز: نعم وأجيد النط في الهواء.

سير توبي: ولماذا تخبئ كل هذه الأشياء، وهل يخبئ الإنسان فضائله في الدنيا؟

سير أندروز: نعم، فهيا بنا نأخذ في المرح والطرب.

سير توبي: هل طالعنا برج الثور؟ مما يؤثر في رقابنا، ولكنه لا يؤثر في جوانبنا وقلوبنا، دعني أراك ترقص رقصة النط العالي.

(يخرجون)

❖ ❖ ❖

المنظـــر الرابع
قصـــر الـدوق

(يدخل فالنتين وفيولا مرتدية ثوب الرجال)

فالنتين: إذا استمر في عطفه عليك يا سيزاريو فقد يرقيك إلى وظيفة أعلى ويألفك ويحن إليك.

فيولا: إنك تخشى مزاجه لذلك تشك في حبه، فهل هو متقلب في أطواره؟

فالنتين: لا.

فيولا: أشكرك، وها هو ذا الكونت قادم.

(يدخل الدوق وكوريو والخدم)

الدوق: من رأى سيزاريو؟

فيولا: هو هنا طوع أمرك يا مولاي.

الدوق: تعلم يا سيزاريو أني بحت إليك بأسراري، ولست أنت بأقل من أحد، فاذهب إليها وحاول أن تقابلها، وقل لحراسها انك سوف لا تذهب مهما كان إلا بعد أن تقابلها.

فيولا: حقاً يا سيدي، فإن كانت مستسلمة لأحزانها وعزلتها فإنها لا تقابلني.

الدوق: افعل ما تشاء، ولكن لا ترجع بخفي حنين. (مخفقًا)

فيولا: فلنفرض أنها قابلتني فماذا أقول لها يا سيدي؟

الدوق: قم بدورك؛ دور الممثل البارع، واكشف لها عن حبي، وستصغي إلى شاب مثلك اكثر من أن تنصت إلى عجوز رزين.

فيولا: لا اظن ذلك يا سيدي.

الدوق: صدقني يا ولدي العزيز، فإن سنك يوحي بالرجولة الكاملة؛ وشفتي ديانا ليست أكثر نعومة من شفتيك، وحنجرتك كأنها أرغون سيدة تحدث صفيرًا أو صوت المرأة في التمثيل؛ وإن في وجهك القبول، وستجد في رفقتك كل الخدم لأني أشعر بشعور احسن عندما أكون وحيدًا، وإذا نجحت ستكون أموالي تحت تصرفك.

❖ ❖ ❖

المنظر الخامس
منزل أوليفيا

(تدخل ماريا والماجن)

ماريا: إما أن تخبرني أين كنت وإلا ستشنقك سيدتي لغيابك.

الماجن: فلتشنقني، ومن يشنق في هذه الدنيا لا يخاف عدوًا.

ماريا: هات دليلا على صحة ما قلت.

الماجن: لأنه لا يرى إنسانًا يخافه.

ماريا: يا له من جواب ضئيل، لي قدرة على أن أعرف مكان مولدك من كلامك فإني "لا أخاف عدوًا".

الماجن: اين فتاتي ماريا؟

ماريا: في الحروب، ويمنك أن تقولها وقت اللهو والمزاح.

الماجن: لقد أعطى الله الحكمة لمن له عقل، فلهم أهواؤهم.

ماريا: ومع ذلك فستشنق لطول غيابك، وقد يكون طردك هو العقاب.

الماجن: كثيرًا ما ينجو الناس بالشنق من الزواج غير الموفق، أما من جهة الطرد فسيكون وقوعه في الصيف أحسن منه في الشتاء.

ماريا: هل أنت مصمم على ما تقول؟

الماجن: لا . ولكني مصمم على رأيين.

ماريا: بمعنى لو دحض أحدهما بقي الثاني سالما، وإذا سقط الاثنان سقطت سراويلك الواسعة.

الماجن: يا لك من مراوغة جيدة، والآن، هيا فإن أقلع سير توبي عن الخمر ستكونين أكثر ملاءمة للزواج منه من أية فتاة أخرى.

ماريا: صه أيها الشيطان، ها هي ذي سيدتي قادمة فتقدم إليها بحججك، فكن حكيمًا في ذلك.

الماجن: يا فراسة الحكمة، كن لي شمعة تضيء لنا السبيل لأن أكون عاقلًا لا مجنونًا، نبيهًا، ولم لا؟ فالمجنون النبيه أحسن من العاقل الأحمق.

(تدخل السيدة أوليفيا مع ملفوليو)

باركك الله يا سيدتي.

أوليفيا: ابعدوا ذلك الحقير عني.

الماجن: الا تسمعون؟

أوليفيا: إليك عني، إنك لمجنون بارد، خائنًا في تأدية وظيفتك.

الماجن: إنهما خطيئان يا سيدتي، إن السيدة امرت بإقصاء المجنون، ولذلك أقول مرة ثانية "أقصوها هي".

أوليفيا: أقصوك انت.

الماجن: هذا خطأ يا سيدتي، ليس كل من يلبس الكبود (القلنسوة) قسيسًا، مما يعني اني لست مجنونًا، لكن اسمحي لي ان اثبت انك مجنونة.

أوليفيا: وهل تقدر؟

الماجن: بلا شك، وبسهولة ومهارة.

أوليفيا: إذًا هات دلائلك.

الماجن: اتكذبين يا سيدتي لأجل المهرجين الخبثاء؟

(تعود فتدخل ماريا)

ماريا: على الباب يا سيدتي شاب يطلب بإلحاح أن يكلمك.

أوليفيا: هل هو من كونت أرسنو؟

ماريا: لا أدري، إنه وسيم الطلعة ومعه الكثير من الخدم.

أوليفيا: مَن مِن رجالي يمنعه من الدخول؟

ملفوليو: قريبك يا سيدتي، سير توبي.

أوليفيا: تبًّا له! (تخرج ماريا) اذهب أنت يا ملفوليو، فإذا كانت عنده رسالة من الكونت فقل له إني مريضة أو غير موجودة، أو أي عذر آخر

(يخرج ملفوليو)

اترى أيها الماجن كيف تحول مزاحك إلى كراهية الناس لك.

الماجن: لقد تكلمت بالنيابة عني يا سيدتي، وكأني ولدك البكر الأحمق، وها هو ذا أحد أقاربك آتٍ وهو ضعيف في قواه العقلية.

(يدخل سير توبي)

أوليفيا: بشرفي إنك سكير يا ابن عمي؟

سير توبي: سيد.

أوليفيا: سيد! أي سيد؟

سير توبي: إنه سيد حضر هنا، تبًا للسمك المملح!

أوليفيا: نعم، ومن هو؟

سير توبي: فليكن الشيطان، فإني لا أهتم به.

أوليفيا: أيشبه الرجل المجنون؟

الماجن: بل كأنه الرجل الغريق والأحمق والمجنون، فإن كأسًا واحدة تجعله أحمق وأخرى تجعله مجنونًا، والثالثة تغرقه في حرارته.

أوليفيا: اذهب وأحضر مأمور التحقيق ليحقق مع ابن عمي؛ فإنه وصل إلى حالة الغرق، واذهب واعتن بأمره.

الماجن: إنه لم يصل بعد إلى درجة الجنون، أيعتني الأحمق بأمر المجنون؟!

(يعود فيدخل ملفوليو)

ملفوليو: يا سيدتي، هذا الشاب الصغير هناك يقسم بأنه لا بد من أن لا شيء يثنيه عن الذهاب إلا بعد مقابلتك والتكلم معك، فما الذي أقوله له يا سيدتي؟ وإنه لا يقبل أي رفض لمقابلتك.

أوليفيا: اخبره بأنه لا يمكنه محادثتي.

ملفوليو: قلت له ذلك فكان جوابه أنه سوف لا يبرح مكانه وكأنه عامود من الدار حتى يتمكن من مخاطبتك.

أوليفيا: أي نوع من الرجال هو؟

ملفوليو: إنه من النوع الإنساني.

أوليفيا: أي نوع من الإنسان؟

ملفوليو: إنه سيء الأدب، وهو يريد التكلم معك، فهل تسمحين أم لا؟

أوليفيا: ما شكل قوامه، وما سنه؟

ملفوليو: لم يصل بعد إلى سن الرجولة، وقد تجاوز سن الطفولة كتفاحة غير ناضجة، وهو كالماء الراكد، فلا هو مرتفع أو منخفض، وهو بين الولد والرجل، وهو حسن القوام ويتكلم بذكاء ودهاء.

أوليفيا: فليحضر، وادع خادمتي.

ملفوليو: أيتها الخادمة، سيدتي تدعوك.

(تدخل ماريا)

أوليفيا: أحضري خماري وضعيه على وجهي، سنستمع مرة ثانية لرسالة أرسنو.

(تدخل فيولا وخدمها)

فيولا: من منكن السيدة الشريفة سيدة هذا المنزل؟

أوليفيا: وجه خطابك إلي وأنا أتولى الرد عليك بالنيابة عنها، فماذا تريد.

فيولا: أيتها السيدة ذات الجمال المشرق الفتان الذي لا يضارعه جمال، أخبريني عما إذا كنت سيدة البيت؛ لأني لم أرها، وإني لا أريد أن يضيع حديثي هباء؛ لأنه فضلًا عن أني أحسنت إنشاءه فإني صرفت جهدًا

عظيمًا في حفظه، أيتها الجميلات، لا تهزأن بي عندما ألقي الرسالة التي كلفت القيام بها؛ لأني سريع التأثر من أي فعل جاف.

أوليفيا: من أين أتيت؟

فيولا: لا يمكن أن أجيب عن سؤال لم أدرسه، أيتها السيدة اللطيفة الطيبة، أكدّي لي أنك سيدة هذا المنزل حتى يجرؤ شخص خجول مثلي أن يلقي حديثه ويبلغ رسالته.

أوليفيا: هل أنت ممثل هزلي؟

فيولا: لا يا أكثر السيدات حكمة، ولكني أستحق كل ما يخرج من فيك إذا كنت أكذب، وأمثل دورًا هزليًا في رسالتي، هل أنت سيدة هذا المنزل؟

أوليفيا: إذًا فأنا هي.

فيولا: إذا كنت هي فإن ما تريدين أن تمنحيه من حقوقك لآخرين يجب أن ألا تحتفظي به لنفسك، أي أنه يجب عليك أن تتزوجي وتنجبي أولادًا لزوجك، ولكن أخبرك بمضمون رسالتي.

أوليفيا: هات المهم في رسالتك، وإني أعفيك من المدح.

فيولا: وا آسفاه! فإني تعبت في حفظ أشعارها.

أوليفيا: إذا كانت شعرية فقد تكون كاذبة؛ وإني لأرجوك أن تحتفظ بها وتعفيني منها، لقد سمعت أنك كنت وقحًا عند بابي، ولقد سمحت بمقابلتك، فإذا كنت مجنونًا فارحل، وإذا كنت عاقلًا فاختصر في حديثك، وإني لست في حالة مجنونة كي أشاركك في حديث سخيف.

ملفوليو: أفرد قلوعك يا سيدي وارحل.

فيولا: لا يا سيدي النوتي منظف سطح المركب، سأبقى هنا على سطح

المركب وقتًا آخر، وأرجو أن تخفف سيدتك العظيمة اللطيفة من حدتها.

أوليفيا: تكلم بما تريد.

فيولا: إني رسول.

أوليفيا: لا، إنك تحمل رسالة خبيثة كما يبدو من آدابك، فهات رسالتك.

فيولا: إنها خاصة بك، إني قادم لا لأشهر حربًا عليك، ولكني أحمل غصن الزيتون وكل كلامي سلم ومهم.

أوليفيا: ولكنك ابتدأت وقحًا، من أنت؟ وماذا تريد؟

فيولا: ما أظهرته من الوقاحة كانت نتيجة المقابلة الوقحة التي قوبلت بها، أما أنا وماذا أريد فإنها لك عفة مقدسة لأذنيك، ولكنها تدنيس لآذان غيرك.

أوليفيا: دعونا وحدنا لنرى هذا الحديث المقدس. (تخرج ماريا والخدم). والآن يا سيدي ما هو حديثك؟

فيولا: يا أجمل سيدة.

أوليفيا: هذه الألفاظ مريحة، ولكن ما هو موضوع رسالتك.

فيولا: في صدر أرسنو ....

أوليفيا: في صدره! في أي جزء من صدره ؟

فيولا: في أهم جزء من صدره.

أوليفيا: لقد علمت انه ضلال، هل عندك جديد؟

فيولا: أيتها السيدة الطيبة دعيني أنظر وجهك.

أوليفيا: هل رسالتك تخص وجهي؟ وهل طلب منك سيدك أن ترى وجهي؟ لقد تجاوزت موضوع رسالتك، ولكني سأرفع الستار وأريك الصورة. أليست جيدة الصنع؟

(ترفع الخمار)

فيولا: لقد ابدع الله في صنعها، إنه جمال امتزجت ألوانه، وهو من بدع الإله لا من صنع الفنانين، فلا تسمحي لهذا الجمال أن يذهب إلى القبر بدون أن تتركي صورة منه بالزواج، حتى يتسنى للعالم أن ينقل صورة منه.

أوليفيا: لن اكون قاسية القلب، فإني سأطبع صورًا من جمالي وأرفقه بوصيتي، فمثلًا اذكر أولًا: شفتين حمرتهما مناسبة، وثانيًا: عينين رماديتين ولهما جفنان، وثالثًا: رقبة وذقنًا... إلخ، هل أرسلت هنا لتمدحني؟

فيولا: يا لك من متغطرسة، إن سيدي يحبك حبًا أكثر من حب الأم لولدها.

أوليفيا: كيف يحبني؟

فيولا: إنه يذرف الدمع حتى يئن له الثرى وكأنه رعد تنهداته من نار الحميم.

أوليفيا: إني لا أستطيع حبه، رغم أنه فاضل وشريف وله أملاك شاسعة، وأنه محبوب من الجميع، شجاع في خلقه، كريم، إلا أنه لم يرض بجوابي

الذي أعطيته إياه من مدة طويلة.

فيولا: آه.. لو كان الحب ملاكًا لما أعجب بك كما أعجب بك سيدي، يا لك من حورية قاسية، فالشوق يكاد يفتك به، وقد استنفد كل وسائله، فلِمَ الرفض إذن؟

أوليفيا: ماذا تعمل؟

فيولا: لبنيت عشًا من أوراق الصفصاف ونثرت روحي داخلها والحب يشيد أركانًا لا يمر عليها ريح إلا وكان يردد ألحان الحب الصافي مطلعها: "يا أوليفيا" لن تجدي الراحة أبدًا حتى ترحمي حال الولهان.

أوليفيا: افعل ما بدا لك لتجتذب قلبي نحو سيدك، فمن أنت وما نسبك؟

فيولا: إن سيدي أرقى مني مركزًا، ولو أني لا أشكو مما أنا فيه الآن وأني شاب مهذب.

أوليفيا: اذهب إلى سيدك وقل له أني لا أستطيع حبه، وعليه أن لا يرسل لي في هذا الشأن مرة أخرى إلا إذا كنت أنت تعود لتخبرني كيف كان وقع كلامي على نفسه، أستودعك الله وأشكرك، وخذ هذه النقود مكافأة مني.

فيولا: لست ممن يحتاج إلى تعويض، بل سيدي العاشق الذي أدعو له إله الحب أن ينثر على قلبه أشلاء القسوة ونيران الاحتقار، أيتها القاسية... وداعًا.

(تخـــــرج)

أوليفيا: إن لسانك ووجهك وأعضاء جسمك وأفعالك وروحك، كل اولئك تدل على أنك شاب مهذب.

يا لي من حمقاء، ما لي أتسرع في عطفي عليه، أأحب الغلام كما يحبني سيده؟ هل أصابني داء الحب؟ يا له من فتى كامل الأوصاف قد زاد في عيني بريقه.. يا ملفوليو.

ملفوليو: نعم يا سيدتي، إني في خدمتك.

أوليفيا: اذهب وراء هذا الرسول فقد ترك خاتمًا له هنا، أعطه وقل له لا تعطي الأمل لسيدك، فإن حضر لي غدًا سأشرح له الأسباب، هيا..

ملفوليو: سأفعل ذلك يا سيدتي.

(يخـــــرج)

أوليفيا: يا لي من فتاة.. ماذا دهاني؟ أوقعت عيني فوقع قلبي في حب ذلك الفتى.. الا أيها القدر، ابرز لي أنيابك وكشر فإن القلب يهتف بغرام "فيولا".

(يخرجون)

❖ ❖ ❖

الليلة الثانية عشر

الفصل الثاني

المنظر الأول
شاطئ البحر

(يدخل أنطونيو وسبستان)

أنطونيو: اجلس معي قليلًا وسأذهب معك.

سبستان: أخشى عليك من سوء طالعي، لذا ارجو منك يا سيدي ان تتركني وحدي أتحمل هذا الشؤم السيئ كي لا يصيبك نحسي.

أنطونيو: أخبرني إذًا اين تقصد؟

سبستان: إلى المجهول.. فلا عليك ايها السيد الجريء؛ فإن بدواخلي ما لا أريد أن أحملك إياه، وعلي كلٍّ فمن آدابي أن أفصح لك عما سأقوم به، فاعلم إذًا يا انطونيو أن اسمي ليس ردْريجو كما دعيت نفسي بل سبستان، وإن والدي كان اسمه سلستيان من آهلي جزيرة مدَليّ، وربما سمعت عنه، وقد تركني وأختي توأمين، ولكن أختي غرقت قبل أن تنقذني أنت من أمواج البحر بوقت قصير.

أنطونيو: واأسفاه!

سبستان: لقد كانت فتاة رائعة، عظيمة الجمال، شبيهة بي، غير اني اجرؤ فأقول: لذا فإن جمال صفاتها تجعل أكثر الناس حقدًا عليها لا

ينكرونها، ولقد غرقت من شربها الماء الملح، سأغرِق ذكراها بدموعي.

أنطونيو: سامحني على المعاملة السيئة التي عاملتك بها.

سبستان: سامحني أنت عما حملتك من المتاعب.

أنطونيو: اسمح لي ان اكون خادمك، اللهم إلا إذا أردت أن تقتلني جزاء حبي لك.

سبستان: لا ترغب في ذلك إلا إذا أردت أن تقتل من أنقذت حياته، والآن وداعًا، وإن قلبي مملوء بحنو الأم حتى أكاد ابكي، وسأذهب إلى بلاط الكونت أرسنو فاستودعك الله.

أنطونيو: لتصحبك الآلهة، إلا أن لي أعداءً في بلاط أرسنو، وإلا لكان من السهل أن أراك هناك.

(يخرجان)

◆ ◆ ◆

المنظـــر الثاني
شـــــــــارع

(تدخل فيولا وفي إثرها ملفوليو)

ملفوليو: ألم تكوني منذ مدة وجيزة مع الكونتيسة أوليفيا؟

فيولا: بلى، وقد أتيت من هناك مسرعة الخطا.

ملفوليو: وهي ترد لك الخاتم، وربما وفرت عليّ تعبي لو أخذته، وهي تؤكد لسيدك أن ييأس من خطبتها، كما أنها تلح عليك بألا تأتي إليها كسفير منه، اللهم إلا إذا رغبت أن تَشرح لها كيف قابل رفضها له، فافهم رسالتي على هذا الوجه.

فيولا: فلن أقبله.

ملفوليو: وإذا كان ليس كذلك فليأخذه من يجده.

(يخــــــرج)

فيولا: لم أترك خاتماً عندها، فماذا تقصد هذه السيدة؟ أوقعت في غرام ملامحي؟ إنها تحبني بالتأكيد، وإن حبها لي هو الذي أوحى إليها هذه الحيلة لأحضر لها ثانية، وهي لا تقبل خاتم سيدي مع أنه لم يرسل لها خاتماً، فإذا كان الأمر كذلك فالأولى بك أن تحبي حلماً! وقد فعل الشيطان فعلته العظيمة بسببك، وما أسهل ذلك عندما يكون الإنسان

جميلًا، وفي الوقت نفسه مخادعًا فيؤثر في قلب المرأة السريعة التأثر، واأسفاه! إن ضعفنا هو السبب في ذلك، ولكن كيف ينتهي كل هذا، فإن سيدي يحب سيدتي حبًّا جمًّا، وأنا أحبه كحبه لها، فهي في ضلالها وهي مولعة بي، ولا أدري ماذا تكون نتيجة ذلك، وإني بوصفي رجلًا لا أمل لي في اكتساب حب سيدي، وكذلك المرأة، وامصيبتاه! أيها الدهر يجب أن تحل هذه العقدة؛ لأنها فوق طاقتي.

(يخرجان)

◆ ◆ ◆

المنظر الثالث
منزل أوليفيا

(يدخل سير توبي وسير أندروز)

سير توبي: تقدم يا سير اندروز، إن الاستيقاظ في الفجر صحة وبركة، ولذلك فإن من يذهب لفراشه بعد نصف الليل يذهب إليه مبكرًا، وهلا تتكون حياتنا من العناصر الأربعة؟

سير أندروز: أظن انها تتكون من الأكل والشرب.

سير توبي: يا لك من ذكي، فدعنا للأكل والشرب إذن.

(يدخل الماجن)

سير أندروز: ها هو ذا الأحمق قادم.

الماجن: يا أصحابي اللطاف، هل رأيتم صورتنا نحن الثلاثة؟

سير توبي: مرحبًا أيها الحمار، هات أنشودة وأطربنا.

سير أندروز: إن هذا الأحمق له صوت موسيقي رغم أنه أحمق، وللعلم لقد كان مزاحك لطيفًا في الليلة البارحة عندما تكلمت عن الفيلسوف "كوينًا بَاكس"، وقد أرسلت ستة بنسات إلى حبيبتك فهل أخذتها؟

الماجن: إني أخذت مكافأتك لأن ملفوليو ليس يَد سَوط، وسيدتي لها يد بيضاء، والجلادون ليسوا حمّارين.

سير أندروز: حسن جداً، علينا بغنوة.

سير توبي: لتبدأ ولك ستة بنسات أخرى.

سير أندروز: وهاك ستة بنسات أخرى، وإذا أعطى فارس ...

الماجن: اتريدون اغنية حب أم اغنية أدبية؟

سير توبي: أغنية حب! نعم، أغنية حب!

سير أندروز: لتكن اغنية حب، إني لا أعبأ بالأغاني الأدبية.

الماجن (يغني):

أيا مهجتي أين تكونين؟

فإني بالعشق مجنون.

قفي واسمعي، فخطا الحبيب إليك مرسوم.

صوته بين المنشدين محمول.

قادم، وقلبه لا ... فكفي.... كفّى عن الخطى أيتها الجميل.

فما الخطى إلا ونهايتها في المطاف محبون.

فكما تريدين!! فآخر المطاف هو مقابلة الحبيب.

سير أندروز: حقاً، يا له من شيء غاية في الجمال.

الماجن (يستمر في الغناء):

ما هو الحب؟

يا ليته بين القلوب دفين، فما هو إلا بين القلوب مجنون،

أمره كما ترى بين الكاف والنون.

ضحكاته عمر لا تنساه السنين.

حتى الممات وما بعده.

لا يسلاه، فمنه هو مشجون.

أمره كما ترى لا يخفى عن العيون.

فلم التأني، فهيا، لا بركة في التأخير.

وبادري هيا وقبّليني يا حلوتي بين الشفاه عددًا لا تسلاه القلوب.

فما العمر إلا الشباب وما الحياة إلا فرصة على الجبين..

سير أندروز: ما أبدعك من صوت حلو!

سير توبي: نعم، نعم، وكأنه صوت معدٍ إذا حكمنا على صوته بأنوفنا، كما يشم الكلب الروائح الكريهة، فهل لنا أن نشرب حتى الثمالة؟ هل نفعل ذلك؟

سير أندروز: إذا كنت تحبني فافعل ذلك.

الماجن: ورب السماء، إن بعض الكلاب لها مهارة طيبة في التقاط ما يقذف إليها في الهواء!

سير أندروز: إذًا، وليكن ما نمسك به هو هذا الشرير.

الماجن: يا لك من فارس شرير!

سير أندروز: لقد دعوتني من قبل بالشرير، فابدأ أيها الأحمق، ولتكن بدايتك بالصمت.

الماجن: إذًا فكيف أبدأ إذا صَمت.

سير أندروز: حسن جدًّا فابدأ.

(يغنـــي)

(تدخل ماريا)

ماريا : ما هذا المواء الذي تحدثونه هنا؟ لقد أرسلت سيدتي لخادمها ملفوليو وأمرته بطردكم من هنا.

سير توبي: إن سيدتي من أهل كاثاي (بالصين)، وسير ملفوليو يحب الأغاني القديمة، فنحن رجال ثلاثة مرحون، ألست أنا من أقاربها؟ حسنًا يا سيدتي.

(يغنـــي)

الماجن : يا للوقاحة! إن الفارس مهرج عجيب.

سير أندروز: وقد يكون بارعًا فيه بلطف حركاته؛ إذ كان ميالًا إليه، وكذلك أنا، فأنا أعمله كعمل طبيعي.

سير توبي (يغني): أيتها الليلة الثانية عشرة من ديسمبر ....

(جزء من أغنية قديمة)

ماريا : وحق السماء كفّوا.

(يدخل ملفوليو)

ملفوليو: يا سادتي، ما شأنكم؟ أليس عندكم من الأخلاق ما يمنعكم من الثرثرة في هذا الوقت من الليل؟ أتجعلون منزل سيدتي كخمارة؟ فقط عليكم أن تحترموا المكان والوقت.

سير توبي: لقد حافظنا على التوقيت في غنائنا، فلتذهب وتشنق نفسك.

ملفوليو: لا أقدر أن أخفي عليك أكثر من ذلك يا سير توبي، لقد أمرتني سيدتي التي أنت من أهلها والتي تضيفك في بيتها أكثر من مرة أن أخبرك بأنها تتأذى مما يحدث من ذلك الهرج، وإذا لم تترك سوء السلوك فإنها لا ترحب بك في منزلها، وأن تودعك بصدر رحب.

سير توبي: إذًا أيتها العزيزة، وداعًا..

ملفوليو: لا يا سيدي توبي الطيب.

الماجن: يا لعينيه، لقد قاربت من نهاية أيامك يا سيدي توبي.

ملفوليو: هل الأمر كذلك؟

سير توبي: ولكني لن أموت.

الماجن: لا تكذب على نفسك يا سير توبي.

ملفوليو: أليس من العار والخجل أن تجهر بالأغاني هنا؟

سير توبي: هل آمره أن يرحل؟

الماجن: لا، لا، ليست عندك القدرة ولا الجرأة على ذلك.

سير توبي: أنت كاذب، فما أنت إلا خادم، هات لنا يا ماريا بعض الخمر.

ملفوليو: يا سيدتي ماري، إن كنت تملكين ذرة من احترام لسيدتي فلا تحطي من قدرها بهذا السلوك السيئ، وسأقسم لها على ذلك.

ماريا: يا لك من حمار له أذنان طويلتان، اذهب من أمامي.

سير أندروز: لأن تطلب منه المبارزة ثم تتقاعس.

سير توبي: كف عن ذلك أيها الفارس، فما أنا من يفر من المبارزة، لذا سأنقل له رسالتك هذه بلساني موافقة منك على المبارزة.

ماريا : صبرًا يا سير توبي؛ لأن الشاب تابع الكونت كان اليوم لدى سيدتي وإنها قلقة، أما من جهة ملفوليو فدعني أتصرف في أمره، فإذا لم أجعله مثالًا للسخرية فقل ما شئت، وإن في استطاعتي أن أفعل به ما أريد.

سير توبي : اخبرينا برايك عنه.

ماريا : أحيانًا يبدو تقيًا كالملاك الطاهر.

سير أندروز: لقد اخطأت، فهو كالكلب.

ماريا : هو ليس تقيًّا على الدوام، ولكنه دجال وحمار كثير التصنع، ويتمسك بآرائه، حتى أن من ينظر إليه يحبه، ولهذا الضعف سيجد انتقامي وسيلة سهلة شريفة للنول منه.

سير توبي : وماذا ستفعلين؟

ماريا : سأرمي له رسالة حب غامضة، أصف فيها محاسنه وشكله الطيب ولون لحيتة وشكل سيقانه، وطريقة مشيه وملامح عينيه، حتى يعرف أنها من حبيب، بل ويمكنني أن أقلد خط سيدتي ابنة أخيك، فلا أحد يستطيع أن يميز بين خطي وخطها.

سير توبي : حسنًا جدًّا، يا لها من حيلة أشم رائحتها.

سير أندروز: وأنا مثلك.

سير توبي : وسيفهم أنها من ابنة أخي التي تقع في غرامه.

ماريا : هذا هو غرضي.

سير أندروز: وهل سيكون كالحمار هكذا.

ماريا : لا شك في ذلك.

سير أندروز: هذا شيء عجيب.

ماريا: لا شك إن دوائي سيؤثر فيه، وسأجعلكما ترون أنتما الاثنين وثالثكم هذا المجنون ملفوليو حيث يجد الخطاب، ولاحظا ما يقوله من تعليق، والآن اذهبا، أستودعكما الله.

سير توبي: إلى اللقاء أيتها الملكة المسترجلة.

سير أندروز: يا لها من فتاة ذكية!

سير توبي: ما هى إلا كلب صيد أصيل، ألم ترَ كم هي تعبدني؟

سير توبي: يا لهن من نساء، هيا أيها الفارس، إنني أريد أن أرسل في طلب نقود أخرى.

سير أندروز: لك الحق، فإنني إذا لم يُحالفنى الحظ في خطبة ابنة أخيك سأعلن إفلاسي إفلاسًا تامًا.

سير توبي: هيا اطلب لي النقود، وإذا لم توفق في نيل رضاها فسمني كما تريد.

سير أندروز: كما تريد، اقسم انني سأفعل مهما كان غضبك.

سير توبي: سأذهب لأدفئ نفسي ببعض الخمر فتعال، تعال أيها الفارس.

❖ ❖ ❖

المنظر الرابع
قصر الدوق

(يدخل الدوق، وفيولا، ويكوريو، وآخرون)

الدوق: عمتم صباحًا أيها الرفاق، أليس عندك ما تسمعنا إياه يا سيزاريو أي أغنية، هيا غنّ لنا تلك المقطوعة التي سمعناها بالأمس، فقد ألهبت صدري وخففت من لوعتي.

كوريو: من تقصده يا سيدي لم يكن هنا.

الدوق: من هو؟

كوريو: إنه فِسْت المهرج يا سيدي الذي يحظي برضا والد أوليفيا.

الدوق: إذًا، هيا ابحثوا عنه ولتعزف الموسيقى.

(يخرج كوريو وتضرب الموسيقى)

إن الحب لوعته نار وحيرة، فالذي يصاب بداء الحب يا ولدي سيزاريو تراه يهيم في دنيا العشق بعيدًا عن دنيا الحياة والناس، وترى علامات الغرام تحوم حوله، ولا تهدأ لوعته إلا برؤية العشيقة أو بذكر المحبوبة التي يهيم بذكرها في ملكوته، ولا يشعر بمن حوله، هو وهي فقط في عالمه، فقد كنت مصابًا بهذا الداء؛ داء الغرام والعشق.

فيولا: إنه يردد في النفس شعور القلب.

الدوق: يا لك من مخادع، أأحببت؟ فإنك تتكلم بمهارة رجل وكأن جوارحه قد تعبدت في محراب الحب، وطافت أفكاره وكل جوارحه حول العشق والغرام، وإني أقسم بحياتي وتجاربي بأنك على رغم صغر سنك فإن عينيك تتكلم بما في نفسك على أنها قد وقعت في مصيدة شخص ما تحبه، ألست صادقًا يا فتى؟

فيولا: بعض الشيء من الحقيقة.

الدوق: أية سيدة هذه؟

فيولا: إنها في حسنك، وملامحها تشبه ملامحك.

الدوق: إذًا لقد أخطأت في الاختيار، وهي لا تستحقك، ولكن ما عمرها؟

فيولا: عمرها من نفس عمرك يا مولاي.

الدوق: ما هذا العشق الغريب، فالفرق بين العمرين كبير، ومع ذلك تحب النساء أن تتزوج من هم أكبر منهن سنًّا، كي تكون ملائمة لهم كما تلائم الملابس كل جسد صنعت من أجله، وحتى تقدر على إشباع رغبات زوجها وحبيبها، فإن العواطف متقلبة وغير ثابتة، وهذه في الرجال أكثر منها في النساء.

فيولا: أعلم ذلك يا سيدي.

الدوق: إذًا فاختر الأصغر منك سنًّا، وإلّا فلن تجد حبكما يدوم كما بدأ، لأن النساء كالوردة لا تلبث زهرتها البديعة أن تتفتح حتى تذبل وتسقط.

فيولا: وهن كذلك، فما إن يصلن لقمة جمالهن وذروتهن حتى ينتهي أجلهن، وتستعيب من السير معهن أو الحديث إليهن.

(يدخل كوريو والماجن مرة أخرى)

الدوق (للماجن): غنّ لنا الأغنية التي غنيتها بالأمس، ولاحظ يا كوريو انها أغنية قديمة وبسيطة تغنيها كل النساء البسيطات؛ لأنها سهلة بها ما يشحن النفس بالغرام ويلهب القلب ويعبر عن حقيقة ذلك الحب، كما كان الشأن في العصور القديمة.

الماجن: هل أنت على استعداد يا سيدي؟

الدوق: نعم، هات ما عندك.

(موسيقى)

غنوة الماجن:

أدركني أدركني أيها الموت

ادركني لأهرب من تلك الروح

واهرب واهرب

من فتاة قد ذبحتني

فهيا غسلني فكلي جنون

وكفني البيضاء وعليّ الزهور

لكن اعلمي ما في الكون من يضارعني

على تحمل نصيبي من الموت

فإني لا أود أن تنثر على قبري الزهور.

ولا أن يرثيني صديق.

فقط اتركني واخفني في قبر لا يجده اي حبيب، كي لا يبكي عليّ

كمدًا من الحسرات.

الدوق: خذ ذلك المال لك، يا لها من غنوة شيقة.

الماجن: لا عليك يا مولاي، فما هي إلا لذة في الغناء.

الدوق: عليّ أن أتركك الآن.

الماجن: ليحرسك الله يا سيدي.. وداعًا.

الدوق: فليخرج الجميع ويتركونا وحدنا.

(يخرج كوريو والخدم)

سيزاريو: أريدك أن تذهب مرة أخرى إلى تلك القاسية القلب، وأن تخبرها بما في قلبي من حبٍ لها، فما يبهرني فيها هو جمالها الفتان.

فيولا: ولكن إن كانت لا تحبك يا سيدي؟

الدوق: يا لك من وغد سيء الفأل.

فيولا: ولمَ لا تتقبل ذلك؟ ولِمَ لا تكون هناك من تحبك حبًا جمًا مثل حبك للدوقة وأنت لا تشعر بحبها.

الدوق: ليست هناك سيدة تتحمل آلام القلب وعنفوان الحب كما في نفسي نحوها، كما أني لا أحب أن أحب المرأة حبًا لا يستمر طويلًا، فتشبيه حب الشهوة كحب الإنسان للأكل، الذي ما إن يشبع حتى يمل الطعام، وينفر منه، فما كان حبي إلا كالبحر في سعته، يحب للحب فقط، فلا توازني بين حب أية امرأة لي وحبي لأوليفيا.

فيولا: ولكني أعرف...

الدوق: ماذا تعرفين؟

فيولا: اعرف كيف يحب النساء الرجال، وما هو مدى حبهن لهم، فحبهن لا يقل عن حب الرجال لهن، فلقد كانت لوالدتي بنت تحب رجلًا كما كنت أحبك أنا لو كنت امرأة يا سيدي.

الدوق: وما الذي كان من أمرها؟

فيولا: لم يعرف عنها شيء؛ لأنها كتمت حبها بين أضلعها كما تختفي الدودة في برعم الزهرة، التي ما تركتها إلا وقد أكلت احمرار خديها، وذابت أسى من الفكر، لكنها بقيت صامدة، فهل ذلك حب؟ ونحن الرجال كعادتنا نتكلم ونقسم كثيرًا بحبنا، ولا نعلم أنه حب ضئيل.

الدوق: هل ماتت أختك من الحب يا ولدي؟

فيولا: لا اعلم، (تقول هذا لنفسها). هل أذهب لهذه السيدة؟

الدوق: اذهب إليها وأعطها هذا القرط وأخبرها ان حبي لا يقبل أي تنازل مني أو رفض منها.

❖ ❖ ❖

المنظر الخامس
حديقة أوليفيا

(يدخل سير توبي وسير أندروز وفابيان)

سير توبي: تعال معي يا سيد فابيان.

فابيان: سأحضر وكلي شرف لمرافقتك يا سيدي.

سير توبي: من هذه؟؟.. أهي...؟!!! بلى ورب السماوات والأرض، إنها هي تلك الخبيثة.

(**تدخل ماريا**): ما وراءك يا لؤلؤتي الغالية؟

ماريا:

أسرعوا للاختفاء أنتم الثلاثة هناك وراء تلك الشجرة، فإن ملفوليو قادم من هذا الطريق؛ فراقبوه وستضحكون منه؛ وسترون أنه أبله معتوه، اقتربوا منه، ولكن لا تشعروه بوجودكم. (ترمي الخطاب في طريق ملفوليو كطعم له).

(يخرجون)
(يدخل ملفوليو)

ملفوليو: يا لسوء الحظ، فقد قالت لي ماريا إن أوليفيا تحبني، ولو أحبت

فإنها سوف لا تحب إلا رجلًا مثلي وكشخصي، وتعاملني بكل ود واحترام، فكل تلك ما هي إلا مقدمات وليس لها إلا نتيجة واحدة.

سير توبي: انظروا، ها هو ذا شرير صلف قادم.

فابيو: اصمتوا إذًا وتأملوا مشيته التي ما هي إلا كديك هائج.

سير أندروز: يعلم الله إني لقادر على إذلاله وترويض شره.

سير توبي: صمتًا يا سادة.

ملفوليو: الآن أصير الكونت ملفوليو.

سير توبي: نعم أيها الخبيث.

سير أندروز: هيا اضربه، اضربه بلا تردد.

سير توبي: صهٍ، صهٍ.

ملفوليو: ولما لا وقد حصل مثل ذلك من قبل، فقد تزوجت سيدة استراشي خادمها خزان ملابسها.

سير أندروز: يا لحماقته!

فابيان: صمتًا، فقد وقع الآن في المصيدة، وها هي أوهامه تتهادى بروحها عجبًا وزهوًا.

ملفوليو: وبعد مرور ثلاثة شهور من زواجي بها وأنا في منصبي هذا...

سير توبي: ليعطيني احد قوسًا أرمي به عينيه بسهم فأعميه.

ملفوليو: وسيلتف حولي ضباطي، وأنا في ملكوتي تاركًا أوليفيا نائمة في فراشها.

سير توبي: فليحترق بالنار ولهيبها.

فابيان: سكوتًا، سكوتًا.

إن مهام وظيفتي تفرض عليّ أن أظهر بالمظهر الملائم لها كي أستطيع أن أنظر في مهام الدولة وأمورها، وأطلب من قريبي توبي....

سير توبي: يا لهذا الوغد الحقير، كم أتمنى أن أقذف به في السجن!

فابيان: سكوتًا، سكوتًا، انظروا الآن.

ملفوليو: سأجعل سبعًا من رجالي يلحقون به، فأعبس في وجهه، وربما يحضر توبي وينحني احترامًا لي.

سير توبي: وهل لهذا الرجل من فائدة لنتركه حيًا؟

فابيان: فلتصمت.

ملفوليو: فأمد له يدي هكذا، وأخفي ما بداخلي له، وألبس قناع الرزين الذي يستطيع أن يضبط شعوره.

سير توبي: وعندها يضربك توبي بلكمة في وجهك؟

ملفوليو: وأقول له: يا ابن عمي توبي لقد ضحك لي الحظ، فأتزوج ابنة أخيك؛ لذا فلي حق الاعتراض على تصرفاتك معي هكذا.

سير توبي: ما هذا الهراء الذي تقوله؟

ملفوليو: يجب أن تبتعد عن شرب الخمر.

سير توبي: خسئت يا وقح.

فابيان: صبراً وإلا فشلت خطتنا.

ملفوليو: يا لها من مضيعة للوقت مع فارس جاهل مثل هذا.

سير أندروز: أيقصدني بذلك.

ملفوليو: وهذا الفارس هو رجل يدعى سير أندروز.

سير أندروز: أيقنت أنه يقصدني.

ملفوليو: أي شيء هذا؟

(يأخذ الخطاب)

فابيان: ها هو قد اقترب من المصيدة.

سير توبي: سكوتاً، سيقرأ الخطاب.

ملفوليو:

ما هذا، إنه لخط سيدتي، لا، بل إن بعض حروفه بخطها، فهي تكتب أحرف .C.U.T بتلك الطريقة وكذلك حرف P الكبير، لا، بل إنه ولا شك جميعه بخطها.

سير أندروز: ماذا يقصد بخطها؟

ملفوليو (يقرأ):

"أرسل هذا إلى المحب المجهول مع تمنياتي الطيبة"، يا لها من عبارات تدل على أنها هي صاحبة الخطاب، وذلك خاتم لكريشيا التي اعتادت أن تختم خطاباتها به، لكن لمن يكون هذا الخطاب؟

فابيان: هذا سيوقعه في المصيدة.

ملفوليو (يقرأ شعرًا):

الله يعلم أني أحب

ولكن أحب من؟

أيتها الشفاه لا تتحركي بالحب

يجب ألا يعرف ذلك أي إنسان

ما هذا، فالشعر الذي في البيت التالي مختلف في الوزن

يجب ألا يعرف ذلك أي إنسان

هل المقصود بهذا أنت يا ملفوليو؟

سير توبي: عليك اللعنة وعلى تلك الثقة الخبيثة!

ملفوليو (يقرأ شعرا):

إني قد آمر ما أعبد حبًا

ولكن الصمت كسكين

يضرب ضربة مدمية قد تجرح قلبي A.I.M.O

تتحكم في مصير حياتي

فابيان: هذا لغز.

سير توبي: يا لها من فتاة بارعة!

ملفوليو (يقرأ شعرا):

M.O.A.L تتحكم في مصير حياتي

ولكن أولًا دعني أتأمل، دعني أتأمل، دعني أتأمل

"إني آمر ما أعبد حبًّا"

ما الذي تقصده بهذه الحروف الهجائية؟ ليتني أستطيع أن أفهم تلك الألغاز لأفكر بتأنٍّ. M.O.A.L

سير توبي: هيا أكمل باقي اسمك، وستجد أمامك العقبات ككلاب الصيد عند مطاردة الفريسة.

فابيان: ولكنه كلب غشيم يخرج لسانه وكأنه وجد فريسته مرة ثانية.

ملفوليو: M– ملفوليو، وذلك لأن حرف M يبدأ اسمي به.

فابيان: ها قد عرف اللغز، ولو أنه كلب غير مدرب بما يكفي.

ملفوليو: M ولكن الجزء التالي غير منسجم مع الجزء الأول، يجب أن يأتي بعده A ولكن حرف O يتبعه، ثم يأتي حرف I بعد ذلك.

M.O.A.L هذه تعمية في المعنى، ولكن إذا تمعنت فيه قليلًا لوجدته يدل عليّ، أنا المقصود بالذات، لكن ما هذا النثر؟

(يقرأ):

إذا وقع هذا في يدك فدر حول نفسك، فإن طالعي فوق طالعك ولكن لا تخش العظمة.. واظهر وأنت في حيوية ونشاط، واظهر بمظهر العدو لمن لك به صلة رحم، واجعل كل كلامك سياسيًا عاليًا، تلك نصيحة امرأة تتلهف لرؤياك.. تشجع فإنك خلقت لأن تكون رجلًا سيدًا، وإلا فلتبقَ زميلًا للتابعين الآخرين، وداعًا من صاحبتك التي يسرها أن تخدمها كزوجتك بدلًا من أن تخدمها كتابع".

الإمضاء:

مـن تملـك المال لكنها لا تملـك قلبك لأنـك لا تبادلها هذا الحب بحب.

هكذا قد بانت الأمور، سأقرأ كتب السياسة، وساهزأ من سير توبي، وأنبذ المعارف، وساكون كما طلبت هي، وإني أحمد الله وحظي على ذلك.

وما تلك الحاشية (يقرأ): "ولا يمكن أن تعرف من أنا، وإذا كنت قبلت حبي أرجو أن تبتسم في وجهي يا حبيبي اللطيف؛ وإني سأبتسم وأفعل كل ما تريده.

فابيان: لن أتنازل عن نصيبي ولو أعطيتني (مال قارون).

سير توبي: إني أستطيع أن أتزوج هذا الفتاة مكافأة لها على هذه المكيدة.

سير أندروز: وأنا أيضًا.

سير توبي: ولن أطلب منها مهرًا غير مكيدة من هذا النوع.

سير أندروز: وأنا أيضًا.

(تدخل ماريا مرة ثانية)

سير توبي: هل تتكرمين بوضع قدميك على رقبتي؟

سير أندروز: وعلى رقبتي أنا أيضًا.

سير توبي: هل أغامر بحياتي لأصبح عبدك؟

سير أندروز: وهل تقبلين ذلك مني أيضًا؟

سير توبي: حقًا لقد أصيب بالجنون.

ماريا: قولا الحق.

سير توبي: نعم إنها الحقيقة.

ماريا: يا لكما من مهزارين، انتظرا وستريان أول مقابلة له مع سيدتي، فإنه سيبتسم لها، وهذا غير ملائم لما هي فيه من الحزن وستنظر إليه شزرًا وتحتقره.

سير توبي: أيتها الخبيثة الماكرة.

سير أندروز: سنرى.

(يخرجون)

❖ ❖ ❖

الليلة الثانية عشر

الفصـــل الثـالـث

المنظـــــر الأول

حديقة سوليفيا

(تدخل فيولا والماجن ومعه دف)

فيولا : هل تكسب عيشك من العزف على هذا الدف يا صديقي؟

الماجن : لا يا سيدتي، بل من خدمة الكنيسة.

فيولا : هل أنت من رجال الكنيسة؟

الماجن : لا يا سيدتي، ولكني أسكن في منزل بجانب الكنيسة.

فيولا : وعلى هذا الأساس تقول أن الكنيسة تقع بجانب الدف إذا كان دفك بجانب الكنيسة.

الماجن : أنت على حق، وما أنبهك! فلست أنت مثل رجال هذا العصر ممن يتلاعبون بالألفاظ.

فيولا : نعم أنت على حق.

الماجن : ولكنك لا تعلم أنك إذا كتمت الكلمات بداخلك أصبحت بلا معنى وقاتلة لك، أليس كذلك؟

فيولا : وما الدليل؟

الماجن : وما الفائدة وقد صارت الكلمات بلا معنى.

فيولا: يا لك من فاسق ماجن.

الماجن: ليس الأمر كما تظن يا سيدي؛ فإن في داخل نفسي شيئا أهتم به، لكني لا أعبأ بك انت؛ لأنك هباء لا شيء.

فيولا: اانت مهرج السيدة أوليفيا؟

الماجن: لا، لم يكن لدى سيدتي أيّ مهزار، لكنها قد تستخدمه بعد زواجها، وإني لست ماجنها ولكنني ذلك الشخص الذي يفسد ألفاظها.

فيولا: ألم تكن من مدة عند الكونت أرسنو.

الماجن: المجون يا سيدي، ذلك الذي يدور حولي كما تدور الشمس حول نفسها لتضيء جميع العالم، يا له من رجل يكدر عليّ حياتي، ألا يكون الماجن مرافقاً لسيدك بمقدار مرافقته لسيدتك؟ وإني لأقسم أن فيك من العقل والحكمة ما يجعل من الضروري أن اغيثها بشيء من المجون.

فيولا: يا لك من ماجن لحوح، خذ هذا المال واغرب عني.

الماجن: إني ادعو لك المولى عندما يرسل شعراً أن يجعل لك منه لحية.

فيولا: ليت ذلك، (على انفراد) مع أني لا اريد لحية، هل سيدتك بالمنزل؟

الماجن: يا لهما من قطعتين تلدا نقوداً كثيرة؟

فيولا: نعم، وليتك تستخدمها بحكمة.

الماجن: إذاً لمثلت دور الوسيط كما في الخرافات اليونانية.

فيولا: فهمتك يا سيدي، ولقد طلبت حاجتك بمهارة.

الماجن: الأمر ليس بتلك العظمة يا سيدي؛ فسيدتي بالدار وسأشرح لك

من أين أتيت، ومن أنت وما هدفك، على الرغم من أن ذلك ليس من شأني.

(يخـــــرج)

فيولا: يا له من إنسان لديه القدرة على أن يتصنع الفسق والمجون بعقله، فهو كالصقر المدرب الذي ينقض على كل طائر يقع تحت نظره، كما يتطلب ذلك من الرجل العاقل أثناء مرانه على فنه، وهكذا يكون المجون ملائمًا، ولكن العقلاء لا يقدرون المران على المجون وإلا تتلطخ سمعتهم.

سير توبي: معك الله أيها السيد.

فيولا: ومعك يا سيدي.

سير أندروز: فليحفظك الله يا سيدي.

فيولا: وأنت أيضًا يا سيدي، وأنا خادمك المطيع.

سير أندروز: أرجو ذلك.

سير توبي: هل تشرفني وتدخل المنزل؟ لأن ابنة أخي تريد ذلك إذا كنت قد أتيت لأمر لها في شأنها.

فيولا: نعم، وهذا هو غرضي من رحلتي إليكم.

سير توبي: اختبر ساقيك وحركهما.

فيولا: وهما على أتم الاستعداد أكثر مما تقصده.

سير توبي: أقصد أنك تريد الدخول يا سيدي.

فيولا: سأطيع أمرك وادخل عليها، ولكن هناك عائق لهذا.

(تدخل أوليفيا وماريا)

أيتها السيدة المهذبة، فلتمطركِ السماء بروائحها العطرية.

سير أندروز: يا له من فتى لا نظير له، اسمع ما قال: "مطر عَطر"، مرحى! سأحفظها كلها وأستعملها.

فيولا: الا تكرمني سيدتى وتعيرني آذانها وحيدة، فإن رسالتي التي جئت مهرولا من اجلها لا اريد أن تسمعها اي اذن إلا اذنك الواعية الأمينة.

أوليفيا: إذًا اتركونا يا سادة.

(يخرج سير توبي، وسير أندروز وماريا)

هات يدك يا سيدي، ما اسمك؟

فيولا: سيزاريو اسم خادمك أيتها الأميرة الجميلة.

أوليفيا: خادمي يا سيدي، انت خادم الكونت أرسنو أيها الشاب.

فيولا: وهو خادمك، فخادمه يجب أن يكون خادمك يا سيدتي.

أوليفيا: ويا له من سيد، فإني لا أفكر فيه، وارجو أن تكون أفكاره مثلي، فإن ذلك خير من أن يكون هناك شيء بيننا، وإنني لأرجوك ألا تكلمني في شأنه مرة أخرى، وإن كان لك مطلب آخر فإني أفضل أن أسمعه منك.

فيولا: سيدتي العزيزة....

أوليفيا: أصغَ إليّ، إني بعد تلك المقابلة الأخيرة بيننا أرسلت وراءك خاتمًا، وكان هذا خطأ، وأتمنى الا تكون قد حملت عملي هذا على محمل سيئ؛ لأني اضطررتك إلى ذلك، فماذا دار بعقلك؟ أقلت عني اشنع الصفات التي لا تصدر إلا من قلب قاس، فإن عواطفي ظاهرة نحو

شخص مثلك.

فيولا : إني أشفق عليك.

أوليفيا : تلك من درجات الحب.

فيولا : لا، ولا خطوة واحدة، إلا أنه إشفاق على العدو.

أوليفيا : إذا كان الأمر كذلك، وإذا كان قلبك لا يلين، فلا فائدة من أن أستمر، (تدق الساعة) إن الساعة تهزأ بي لإضاعة الوقت سدى، فلا تخف أيها الشاب الظريف فإني لن أتزوجك، ها هو ذا طريقك فارحل.

فيولا : إذن فسأرحل نحو الغرب، فليحفظك الله سيدتي ويمنحك عقلاً هادئًا، هل من رسالة إلى سيدي؟

أوليفيا : انتظر، قل لي ما رأيك فيّ.

فيولا : إنك تظنين أنك امرأة وقعت في حب امرأة أخرى، والحال أن هذا هو شأنك.

أوليفيا : إذا ظننت ذلك فإني أظن فيك نفس الأمر.

فيولا : ظنك صحيح؛ فإني لست كما أبدو أمامك.

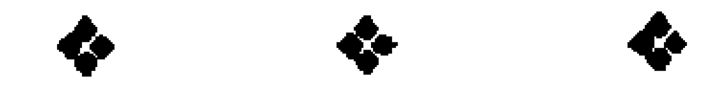
أوليفيا : ليتك تكون كما أود أن تكون.

فيولا : وإذا كنت كما ترغبين فإني قد صرت الآن سخريتك.

أوليفيا : ما أحسن ما يصدر من بين شفتيك؛ تلك السخرية، فمهما حاول العاشق أن يخفي حبه إلا وقد فضح أمره، يا سيزاريو بحق عفتي وشرفي وكل شيء إني أحبك على الرغم من كبريائك، فإني أطلب خطبتك مع أن هذا هو دور الرجل.

فيولا: وحق شبابي إن عندي قلبًا واحدًا سوف لا تملكه أية امرأة، ولن توجد ابنة امرأة تستحوذ عليه غيري، فأستودعك الله الآن أيتها السيدة، ولكن تذكري حال سيدي الذي يذرف الدمع.

أوليفيا: ولكن أرجو أن تعود مرة أخرى؛ لأنك قد تؤثر في ذلك القلب الذي يكره الآن حبه.



المنظر الثاني
منزل أوليفيا

(يدخل سير توبي وسير أندروز وفابيان)

سير أندروز: لا، لن أمكث ولو لحظة واحدة.

سير توبي: وما حجتك؟

فابيان: نعم ما هى اسبابك يا سير أندروز.

سير أندروز: وحق العذراء لقد رأيت وسمعت من ابنة أخيك ما تظهره من العطف على ذلك الخادم أكثر مما أظهرته نحوي.

سير توبي: وهل راتك هي يا صديقي؟

سير أندروز: نعم.

فابيان: فما هذا إلا دليل على حبها لك.

سير أندروز: أتسخر مني؟

فابيان: لا، وسأبرهن على ذلك بالمنطق.

لقد أبدت عطفها للشاب أمام عينيك لترى ما إن كنت ستغضب أم لا، ولتوقظ مشاعرك النائمة، ولكنك خيبت أملها، وضيعت هذه الفرصة، وأصبحت في نظرها كقطعة ثلج باردة، اللهم إلا إذا حاولت علاج ذلك بعمل يدل على الشجاعة والفروسية أو السياسة.

سير أندروز: الشجاعة تلك الوسيلة الوحيدة.

سير توبي: ولم يكن ذلك إلا من خلال منازلة خادم الكونت وجرحه، ثم تعرف ابنة أخي فتحبك، فما يقرب بين المرأة وحبيبها أكثر من أنباء فروسيته.

فابيان: ليست هناك طريقة غيرها.

سير أندروز: ليطلبه أحدكما لمبارزتي.

سير توبي: هيا فاكتب بخط عسكري، رسالة شديدة اللهجة وموجزة؛ ويحسن أن تخاطبه "بأنت" ثلاث مرات، هيا فاكتب.

سير أندروز: وأين أجدك؟

سير توبي: سأحضر لك في غرفتك.

(يخرج سير أندروز)

فابيان: يا له من شخص يحبك يا سير توبي.

سير توبي: نعم، أنت على حق.

فابيان: سنحصل على كتاب بديع منه، أفلا تتفضل وتوصله إليه؟

سير توبي: لا تثق بي إذا لم أفعل هذا، إلا انني سأحثه على إرسال الرد، أما من جهة اندروز فليس لديه القدرة على المواجهة.

فابيان: وأما خصمه فإن وجهه لا يدل على ميله للقسوة.

(تدخل ماريا)

سير توبي: تلك عصفورتي الصغيرة قادمة.

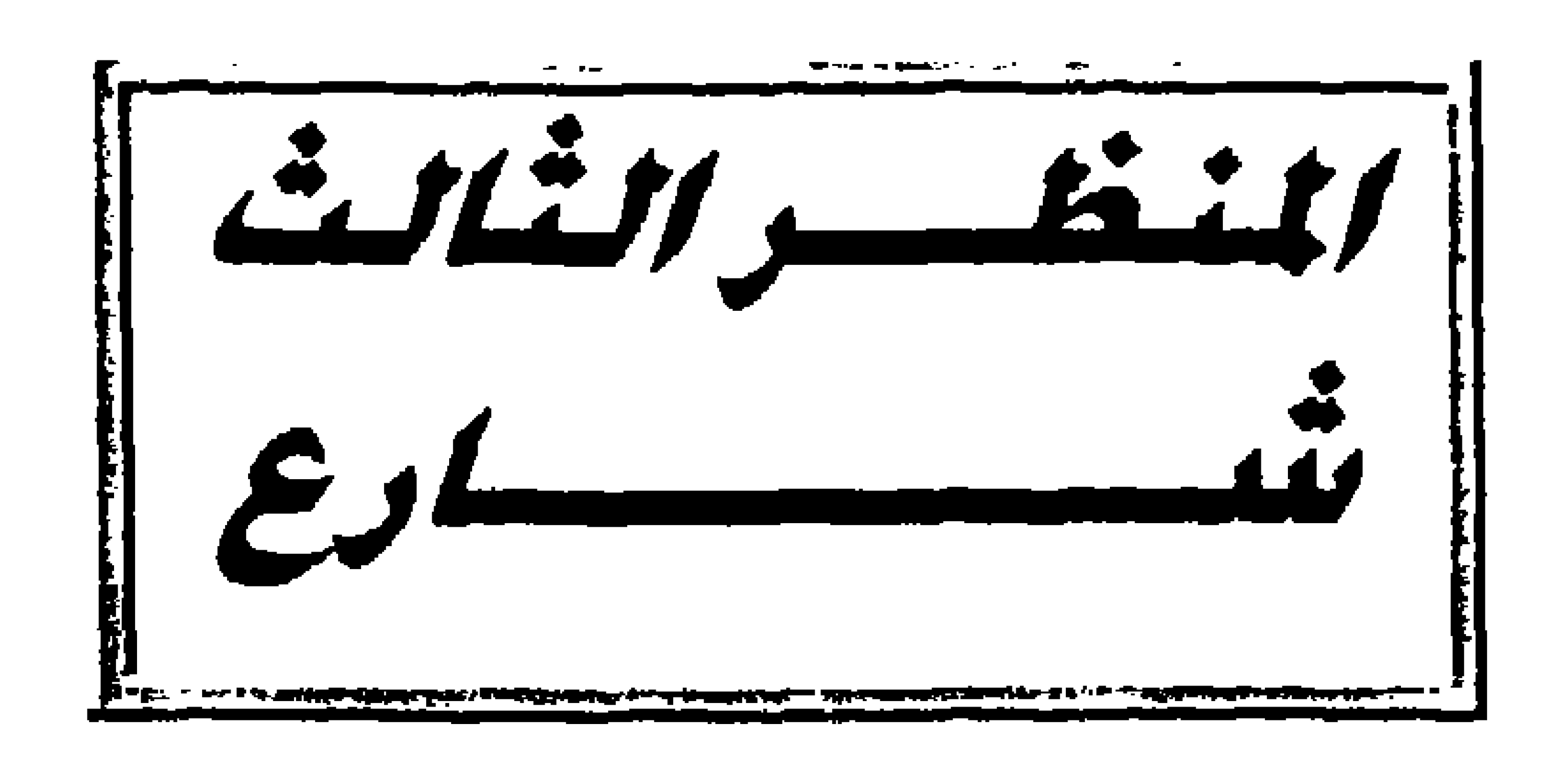
ماريا: إن كنت تريد ان تضحك فاتبعني، لقد انقلب حال ملفوليو وفقد

دينه الذي نشأ عليه، وهو يعمل بحذافير الخطاب الذي رميته في طريقه، وإنه ليحملق في كل سطر من الخطاب وإني لأعلم أن سيدتي ستضربه، وإذا فعلت فإنه سيبتسم، وسيفهم أن ذلك شيئًا عظيمًا منها.

سير توبي: هيا بنا لنذهب.

(يخرجان)

❖ ❖ ❖



(يدخل سبستان وأنطونيو)

سبستان: لا اريد ان أشق عليك.

أنطونيو: لا استطيع أن أتهاون في خدمتك يا صديقي، ولا أن أرافقك، فإني أخشى ان يقع لك حادث في اثناء سيرك، وانت لا تعرف هذه المنطقة، فأهلها على جانب عظيم من الخشونة، ولا يحسنون استقبال الضيف الغريب بدون أن يكون معهم رفاق.

سبستان: يا انطونيو العزيز، أشكرك تمام الشكر، لو كانت أحوالي المالية جيدة لأجزلت عطاءك، بدلًا من كلمات الشكر العقيمة تلك، ماذا نفعل الآن؟ هل نذهب لزيارة آثار تلك البلدة؟

أنطونيو: ليكن ذلك غدًا يا سيدي، والآن نذهب لنرى مسكنك.

سبستان: لست متعبًا، وفي الوقت متسع حتى الليل، لذا لنستمتع برؤية الآثار وما تشتهر به هذه المدينة.

أنطونيو: اعذرني يا مولاي؛ لأنه من الخطر عليّ أن نسير في هذه الشوارع؛ فذات مرة في معركة على سفن الكونت ساعدت خصومه عليه، ولو قبض عليّ ما استطعت أن أدلي بحجج تبرئني.

سبستان: وهل قتلت الكثير من اتباعه.

أنطونيو: نعم، ولكن لم يكن ذنبي، فظروف الحال وطبيعة المعركة كانت هي السبب في إراقة الدماء، وقد كنت وحدي من المعارضين في ذلك؛ ولذا فإذا أخذني أحد على غرّة في هذا المكان فسأدفع الثمن غاليًا.

سبستان: إذًا لا تسر في الشوارع العامة.

أنطونيو: هذا ملائم لي، خذ يا سيدي كيس النقود وهناك في الجهة الجنوبية يوجد فندق "الفيل" وهو أحسن مسكن، وسأكون معك بعدما تأخذ وقتك من الراحة.

سبستان: ولماذا آخذ كيسك.

أنطونيو: ربما رأيت شيئًا أحببته وما معك من النقود ما يكفيك.

سبستان: سأكون حارسًا لنقودك، وأغيب عنك ساعة.

أنطونيو: إلى فندق "الفيل".

سبستان: أذكر ذلك.

(يخرجان)

❖ ❖ ❖

المنظر الرابع
حديقة أوليفيا

(تدخل أوليفيا وماريا)

أوليفيا: لقد وعدني أن يحضر، فماذا أقدم له من طعام، وأية هدية أقدمها له؟ لأن الشباب يُشْتَرى بالهدايا أكثر من الوعود، أين ملفوليو؟

ماريا: ها هو ذا قادم يا سيدتي، ولكنه في حالة غريبة، وكأن به مسًّا من الشيطان.

أوليفيا: ماذا دهاه؟ هل يهذي؟

ماريا: لا يا سيدتي، هو دائم الابتسام، والأولى أن يكون معك حرس عندما يأتي؛ فيبدو أنه مصاب بخلل في عقله.

أوليفيا: اذهبي واستدعيه. (تخرج ماريا). إذا تساوى جنون الحزن والسرور فإني مجنونة مثله.

(تدخل ماريا ثانية ومعها ملفوليو)

كيف الحال يا ملفوليو؟

ملفوليو: حسن يا سيدتي.

أوليفيا: لما تبتسم؟ لقد ارسلتك لأمر حزين.

ملفوليو: لأمر يحزنني يا سيدتي؟ قد أستطيع الحزن، ولكن لا يهم ما دام

ذلك يسر الحبيبة، ويكفيني هذا.

أوليفيا: ما الذي حلّ بك؟

ملفوليو: لست يا سيدتى أسود (قاسي) القلب، ولقد وصلني خطابك وسأنفذ ما جاء به.

أوليفيا: اذهب لتستريح في فراشك يا ملفوليو؟

ملفوليو: سأذهب للفراش يا حبيبة قلبي، وسأعود إليك.

أوليفيا: كان الله في عونك، لماذا تبتسم وتقبّل يدك مرارًا؟

ماريا: ما بك يا ملفوليو؟

ملفوليو: ماذا؟ هل أجيب على سؤال خادمة؟ نعم سأفعل، لأن العندليب أحيانًا يرد على نعيق الغراب.

ماريا: ولِمَ تظهر بهذا السخف أمام سيدتي؟

ملفوليو: لقد قيل: "لا تخف من العظماء"، ولعمري إن هذا رأي حسن.

أوليفيا: ماذا تقصد؟

ملفوليو: "بعض الناس يولدون عظماء".

أوليفيا: ها!

ملفوليو: "وبعضهم يكتسبون العظمة".

أوليفيا: ماذا تعني؟

ملفوليو: "وبعض الناس تُرْمَى العَظَمة عليهم".

أوليفيا: رد الله عليك عقلك.

ملفوليو: تذكري من اقترح عليّ تلك الملابس في الخطاب وتلك الهيئة

كذلك.

أوليفيا: ماذا تعني؟ وخطاب من؟!

ملفوليو: إنك تنالين بغيتك إذا رأيت ذلك.

أوليفيا: بغيتي؟ يا لوقاحتك!! فهذا جنون منتصف الصيف.

(يدخل الخادم)

الخادم: لقد جاء خادم الكونت أرسنو.

أوليفيا: ساحضر له. (يخرج الخادم) يا ماريا تولي شأن ملفوليو انت وبعض اتباعي، فهو غالٍ عليّ من ان ينزل به اي خطر، واجعلي سير توبي يعتني به.

(تخرج أوليفيا وماريا)

ملفوليو: هل تعرفين من انا؟ فإني لست أقل منزلة من سير توبي، كل ذلك قد ورد في الخطاب، وهي تبعث به إلي عمدًا حتى أعانده، وأظهر بمظهر العدو اللدود لمن كانت لي به صلة رحم، ولتكن عبوسًا في وجه الخدم، واجعل كلامك في السياسة العالية، ولذلك فقد قالت وهي ذاهبة لتعتني بأمر هذا المرء أي هذا الزميل وليس ملفوليو، ولم تراعي مركزي كتابع لها، ولكن ذلك كله كان من امر الله وليس انا، فشكرًا له.

(تدخل ماريا ثانية ومعها سير توبي وفابيان)

سير توبي: ما هذا؟ أين هو الآن؟ لا بد من التكلم معه.

فابيان: ها هو ذا، ها هو ذا، كيف حالك يا سيدي؟

ملفوليو: أريد أن أختلي بنفسي، هيا ارحل عني.

ماريا: انظروا، ألم أقل لكم يا سير توبي؟ إن سيدتي ترجو منك أن تعتني بأمره.

ملفوليو: ماذا؟ هل طلبت ذلك؟

سير توبي: إذًا فاتركوني وحدي أعالجه، ما الذي أصابك يا ملفوليو؟

ملفوليو: هل تعرف ما تقوله؟

ماريا: انظر كيف يتغير عندما تتكلم عن الشيطان، ساعده يا سيدي لأن سيدتي لا تريد قط أن تخسره.

ملفوليو: والآن أيتها السيدة.

ماريا: يا إلهي!

سير توبي: إنك تثيرينه؟ اتركيني معه وحدي.

فابيان: ليست هناك طريقة سوى الرفق واللين؛ لأن الجني أو عفريت الجن شر سيء لا يعامل بتلك الفظاظة.

سير توبي: كيف حالك يا كتكوتي الجميل؟

ملفوليو: سيدي!

سير توبي: تعال معي يا عزيزي، ليس من اللائق أن يلعب شخص مع الشيطان، ولا أن يعامله معاملة الأليف لأليفه.

ماريا: اطلب منه أن يصلي ويدعو الله.

ملفوليو: أصلي؟! يا لكِ من قردة خسيسة.

ماريا: يا لك من وقح دنيء.

ملفوليو: يا لكم من أغبياء، إنكم لستم من طبقتي.

(يخـــــرج)

سير توبي: هل هذا ممكن؟ لقد نجحت حيلتنا، انظروا ماذا يفعل حتى لا ننكشف ويفسد كل شيء.

فابيان: حقًا لقد جعلناه مجنونًا بحق.

ماريا: سيكون المنزل أهدأ.

سير توبي: لنضعه في حجرة مظلمة موثوقًا بالجبال، وهكذا تصدق ابنة أخي جنونه حتى نمل من تلك اللعبة ونرأف به، وعند ذلك ننشر الخبر على مسامع الجمهور للحكم عليها، ونعلن انتصارك بوصفك ماهرًا لكشف المخبولين، ولكن انظروا، انظروا.

(يدخل سير أندروز)

فابيان: ولكن انتظروا، فهناك أمر سيضاف إلى لعبتنا.

سير أندروز: تلك دعوة للمبارزة، اقرءوها.

سير توبي (يقرأ): "أيها الشاب مهما تكن منزلتك فإنك خسيس".

فابيان: حسن، تلك من صفات الفروسية.

سير توبي (يقرأ): "لا تندهش ولا تتعجب فإنك خسيس".

فابيان: يا لها من رسالة تجعلك بعيدًا عن طائلة القانون.

سير توبي(يقرأ): "لقد رأيتك عند السيدة أوليفيا، وقد عاملتك معاملة

حسنة، ولكنك كذبت وافتريت، وعلى الرغم من ذلك فليس هذا ما أود مبارزتك من أجله.

فابيان: يا له من خطاب ذي ذوق رفيع.

سير توبي (يستمر): سأختفي لك في طريقك إلى المنزل حتى إذا تصادف أنك قتلتني....

فابيان: حسن.

سير توبي (يستمر): " لتقتلني كأني وغد سافل".

فابيان: ما زلت بعيدًا عن طائلة القانون.

سير توبي (يستمر): "وداعًا، وليرحم الله روحًا من روحينا.

الإمضاء:

(صديقك كما تحب أن تعامله وعدوك اللدود)
(أندو شاعت)

سأوصل هذا الخطاب.

ماريا: حينما تأتي الفرصة، فهو يتحدث مع سيدتي، وسيرحل بعد قليل.

سير توبي: اذهب يا سير أندروز واختبئ.. وعندما تراه أشهر سيفك، والعنه بفظاظة، ارحل.

سير أندروز: ثقوا بي.

(يخـــرج)

سير توبي: سأوصل هذا الخطاب على الرغم من أنني على ثقة من أن أسلوب هذا الخطاب المملوء حماقة وسخافة لا يزعج هذا الشاب، لذا سأبلغه تلك الرسالة مشافهة، فيندفع في غضبه كالأفعى الوحشية التي تقتل فريستها بمجرد النظر إليها.

(تدخل أوليفيا وفيولا مرة ثانية)

فابيان: ها هو ذا قادم مع ابنة أخيك، فاسمحوا لي.

سير توبي: سأفكر في كلمات أكثر فظاظة.

(يخرج سير توبي وفابيان وماريا)

أوليفيا: يا لك من إنسان لا قلب له، فالحجر يَخرج من بين جنباته الماء كالشلالات تنفجر لتجعل الحياة من حولها أكثر لطفاً وبهجة، وإني لأشعر أن نفسي تؤنبني على ما قمت به.

فيولا: إنما شعور سيدي لهو مثل ما أنت فيه الآن.

أوليفيا: خذ حليتي هذه والبسها، فهي تحوي صورتي، ولا ترفضها، وارجوك أن تحضر غداً.

فيولا: لا أطلب شيئًا غير حبك الخالص لسيدي.

أوليفيا: كيف أحبه وقد أحببتك؟

فيولا: سأعفيك من ذلك.

أوليفيا: تعال غداً، والآن أستودعك الله.

(تخـــــرج)

(يدخـل ثانيـة سير توبي وفابيان)

سير توبي: فليحفظك الله يا أيها الفتى المهذب.

فيولا: أتمنى لك ذلك يا سيدي.

سير توبي: لا أدري سبب دفاعك عنه، ولكنه يتربص بك وهو ممتلئ حنقًا، وينتظرك في ركن الحديقة كالصائد العطشان إلى الدم، فجرد سيفك وكن مستعدًا.

فيولا: إني على ثقة من أنه ليس بيني وبين أي رجل خصومة.

سير توبي: وإني أؤكد لك أنك ستجد الحال على عكس ما ذكرت، ولذلك أنصحك أن تحترس.

فيولا: ومن هو؟

سير توبي: هو فارس، وهو شيطان في المنازعات الخاصة؛ وإن شعاره هو "اضرب أو ادفع الضرب".

فيولا: سأعود للمنزل، فإني لست محاربًا، وربما كان هذا الرجل من هذا القبيل.

سير توبي: لا يا سيدي، فلن تعود إلى المنزل إلا إذا قبل مبارزتي كأنني ذلك الشيطان، فهيا.

فيولا: سلوكك هذا غير مفهوم لي؛ فلتتكرم في أن تعرفني من هو هذا الفارس، وكيف أسأت إليه.

سير توبي: سأفعل ذلك، فكن هنا يا سيد فابيان مع هذا السيد حتى أعود.

(يخـــــرج)

فيولا: وأنت يا سيدي تكرم عليّ وأخبرني من هو.

فابيان: ليس من ملامحه تبدو الخطورة، سنرى، ولكن من المؤكد أنه أمهر من أي رجل في إلليريا، هل أحاول إصلاح ما بينكما.

فيولا: أكون شاكرًا لك ذلك.

(تخـــــرج)

(يدخل سير توبي مرة ثانية ومعه سير أندروز)

سير توبي: واعجبا؛ إنهم يقولون إنه كان مبارزًا عند الشاه.

سير أندروز: ليس هذا بالأمر الذي يهمني.

سير توبي: ولكنك قد لا تستطيع منع غضبه، هيا إلى النزال.

سير أندروز: تبًا لذلك، فلو كنت أعلم شجاعته ما طلبت مبارزته، لعنة الله على ذلك الشر، وإنني على أتم الاستعداد أن أعطيه فرسي إيتان.

سير توبي: تذرع بالشجاعة. (على انفراد): وسأستخدم فرسك كما استخدمك.

(يعود فابيان)

(إلى فابيان): أخذت حصانه جزاءً لي إذا أنهيت تلك المشاجرة. ولقد

أقنعته بأن الشاب شيطان.

فابيان: وكذلك فالشاب يخشاه كما يخشاه أندروز.

سير توبي (إلى فيولا): لا فائدة من ذلك يا سيدي؛ لأنه اقسم على ذلك.

فيولا (على انفراد): ارحمني يا إلهي!

فابيان: تقهقر عندما تراه اتيًا.

سير توبي: لا مفر يا سير أندروز، هيا قابله.

سير أندروز: اطلب من الله ان يكون رحيمًا.

فيولا: أؤكد لك أن هذا ضد إرادتي.

(يجردان سيفيهما)
(يدخل أنطونيو)

أنطونيو: عنك يا سيدي، فاغمد سيفك، وإذا كان هذا الشاب أغضبك فإني له بالمرصاد، وإن كنت أنت من أسأت إليه فإني بالنيابة عنه أبارزك.

سير توبي: أنت!.. ومن أنت؟

أنطونيو: رجل يحبه، ولديه القدرة على أن يفتك بجيش تام العدد أكثر مما سمعتم وأكثر مما يفخر به الشاب.

سير توبي: إذا كنت كما تقول رجلًا يدافع عن الآخرين فإني مستعد لمنازلتك.

(يرفعان سيفيهما)
(يدخل ضباط)

فابيان: يا سير توبي النبيل، قف، ها هم الضباط قادمون.

سير توبي: سأكون معك حالًا.

فيولا: ارجوك يا سيدي قم بما اتفقنا عليه.

سير أندروز: سأفعل.

الضابط الأول (مشيرًا إلى أنطونيو): هذا هو الرجل، هيا فلنؤدّ الواجب.

الضابط الثاني: يا انطونيو، إني أقبض عليك بناءً على طلب الكونت أرسنو المقدم للقضاء.

أنطونيو: انت مخطئ في يا سيدي.

الضابط الأول: لا، إني أعرفك حق المعرفة، خذوه.

أنطونيو: لا بد من ان أطيعه.

(إلى فيولا): هذا نتيجة البحث عنك، والآن أنا في حاجة إلى نقودي التي أعطيتها لك.

الضابط الثاني: تعال يا سيدي.

أنطونيو: اعطني بعض النقود.

فيولا: أي نقود تلك التي تتحدث عنها؟ وعلى الرغم من ذلك فإنني سأقرضك بعض النقود، وإن ما معي ليس كثيرًا، ولكني سأقتسمه بيننا، فهاك نصف مالي.

أنطونيو: اترفض ان تعطيني نقودي الآن؟ أهذا جزاء ما أديته لك من الخدمة؟

فيولا: أية خدمة؟! إنني لا أعرفك انت ولم أرك من قبل، واعلم أنني لا

انكر فضل أحد عليّ أبدًا مثل ما أكره الكذب، وأي رذيلة أُخرى.

أنطونيو: وأين رب السماء!

الضابط الثاني: هيا يا سيدي فلبِّ الطلب.

أنطونيو: اسمح لي قليلًا، هذا الشاب الذي تراه هنا اختطفته من بين مخالب الموت وهو على وشك الهلاك، وفرّجت عنه كربته بحبي له، وعطفت على شخصه.

الضابط الأول: وماذا يهمنا من ذلك؟

أنطونيو: إنك يا سبستان قد أخجلت، وإن الفضيلة شيء حسن، ولكن فعل الشر مثله مثل صندوق فارغ قد نقشه إبليس وأبدع في زخرفته.

الضابط الأول: لقد جن جنون الرجل، خذوه، هيا، هيا يا سيدي.

أنطونيو: هيا بنا إذًا.

فيولا: يبدوا إليّ أن كلام الرجل صادق، ولكني لا أصدقه، إلا أنني أفهم من ذلك أن انطونيو يخلط بيني وبين أخي العزيز الذي يشبهني.

سير توبي: تعال أيها الفارس، يا فابيان، دعنا نتكلم كلامًا يحويه العقل والرأي السديد.

فيولا: اعلم أن أخي يشبهني تمام الشبه، ولقد كانت ملابسه كملابسي طرازًا ولونًا وزركشةً، لأني اقلده الآن، ولو ثبت أنه ما زال على قيد الحياة، إذًا لقد رحمته العواصف وأشفق عليه البحر، ولم يغرقه بين أمواجه العاتية.

سير توبي: إنه ولد خائن، حقير، لقد ترك صديقه هنا في ضيق، ناكرًا الجميل الذي قدمه له، أما عن جبنه فاسأل عنه فابيان.

فابيان: إنه جبان يعبد الجبن، بل ولقد اتخذه دينًا له.

سير أندروز: وحق السماء سأضربه حتى يرى الحق من الباطل.

سير توبي: الطمه بشدة، ولكن لا تستعمل سيفك.

سير أندروز: لن أستعمله.

(يخـــــرج)

فابيان: هيا بنا لنرى ما سيحدث.

سير توبي: وإني أراهن أن المسألة ستنتهي للا شيء.

(يخرجان)

❖ ❖ ❖

الليلة الثانية عشر

الفصل الرابع

المنظر الأول
أمام منزل أوليفيا

(يدخل سبستان والماجن)

الماجن: اعتقد أني لست مرسلًا لك؟

سبستان: إليك عني أيها الحقير الوقح.

الماجن: حقًا إني لست موفدًا لك من سيدتي، وإني لأعلم أن اسمك هو السيد سيزاريو، وكل ذلك تضليل في تضليل.

سبستان: افعل ما تشاء وقل ما تريد، فلن تعرفني.

الماجن: أرجو أن تخلع عنك رداء الكذب والتضليل، إنك لا تعرفني، هيا قل لي هل أقول لها إنك قادم؟

سبستان: أرجوك أيها الماجن أن ترحل عني وخذ تلك النقود مني، وإذا لم تستمع إليّ فإني ساضربك.

الماجن: يا لك من رجل كريم.

(يدخل سير أندروز وسير توبي وفابيان)

سير أندروز: والآن يا سيدي خذ هذه اللطمة.

سبستان: وخذ مني ايضًا هذه، وهذه.

الماجن: سأخبر سيدتي بذلك حالًا.

(يخـــــرج)

سير توبي: كف عن المشاجرة.

سير أندروز: اتركه، سأعامله معاملة أخرى.

سبستان: ارفع يدك.

سير توبي: تعال يا محاربي الصغير، اتريد القتال؟ هيا.

سبستان: ما الذي تريده الآن؟ فإن أغضبتني أكثر من ذلك فإني سأطلب منك المبارزة في الحال.

سير توبي: ماذا؟ ماذا؟ إن كنت مصممًا فإني على أتم الاستعداد لانتزاع دمك الوقح.

(تدخل أوليفيا)

أوليفيا: كف عن ذلك يا توبي، وإلا عرضت حياتك للخطر.

سير توبي: سيدتي!

أوليفيا: ليكن سلوكك حسنًا أيها التعس الفظ، هيا، إني لا أريد أن أراك أمام عيني مرة أخرى، وأما أنت يا سيزاريو العزيز فلا تغضب.

(يخرج سير توبي وسير أندروز وفابيان)

لا تجعل غضبك يؤثر في نفسك الوديعة المسالمة، فتعال معي إلى منزلي

لترى مدى السخرية التي ارتكبها هذا الشرير لتضحك منها؛ لأنه أهاج قلبي المسكين.

سبستان: إلى اين أنا ذاهب؟ هل أنا مجنون؟ أم حالم؟

أوليفيا: ارجوك أن تذهب معي.

سبستان: نعم يا سيدتي.

أوليفيا: فقط نفذ الأمر.

(يخرجان)

❖ ❖ ❖

المنظر الثاني
منزل أوليفيا

(تدخل ماريا والماجن)

ماريا : من فضلك يا سيدي ارتد هذا الجلباب، وضع هذه اللحية كي يصدق أنك سير توباس القسيس، وإني لأدعو سير توبي. (تخرج).

الماجن : سأفعل، فإني لا الائم هذه المهنة، ولكن ليدخل المتآمرون.

(يدخل سير توبي وماريا)

سير توبي : فليباركك الله أيها القسيس.

الماجن : سعد نهارك يا سير توبي.

سير توبي : وسعدت به يا سير توباس.

الماجن : السلام على هذا السجن وعلى من فيه.

سير توبي : إن الشر لخبيث ماهر.

ملفوليو (من الداخل) : من يناديني ؟

الماجن : سير توباس القسيس، قد جاء لزيارة ملفوليو المجنون.

ملفوليو : سير توباس، سير توباس، سير توباس، لتذهب إلى سيدتي ...

الماجن : اخرج أيها الشيطان، لقد ضايقت هذا الرجل!

سير توبي : لقد قلت حسنًا يا سيدنا

ملفوليو: أيها السير توباس لقد ظلِمت، فلا تظن أني مجنون، فلقد أخذوني على غرة ووضعوني في ظلام دامس.

الماجن: اخرس أيها الشيطان الخائن.. هل تقول إن المنزل مظلم؟

ملفوليو: كالجحيم يا سير توباس.

الماجن: وما فائدة تلك النوافذ الشفافة؟

ملفوليو: لست مجنونًا يا سير توباس.

الماجن: إنك مخطئ، يا لك من واهم مضلل مثل قوم فرعون عندما عاقبهم الله لمضايقتهم بني إسرائيل.

ملفوليو: لا أقصد ظلام الدنيا يا سيدي، بل ظلام الجهالة، وكأنها جهنم في ظلمتها، فلقد أساءوا إليّ، وإني لست مجنونًا، وإني لأظنكم تختبروني عن مسألة منطقية.

الماجن: ما هو رأي فيثاغورس عن الطيور البرية؟

ملفوليو: إن روح جدتنا قد تتقمص في طائر.

الماجن: وما رأيك أنت في هذا؟

ملفوليو: إني لا أوافقه على رأيه.

الماجن: وداعًا، وابق في الظلام، ستأخذ برأي فيثاغورس، وداعًا.

ملفوليو: يا سير توباس، يا سير توباس.

سير توبي: يا أيها السير توباس.

الماجن: لم أعلم أنني قادر على أن أكون ممثلًا بارعًا.

سير توبي: يسرني أن ننهي هذه المؤامرة ونفرج عنه كي لا ينفضح أمرنا،

وكي لا أخسر ابنة أخي وتطردنا من منزلها، احضر فيما بعد إلى غرفتي.

(يخرج سير توبي وماريا)

الماجن (يغني): هيا يا عصفورتي؛ يا عصفورتي الجميلة، وأخبريني عن حال سيدتك.

ملفوليو: أيها المهرج!

الماجن: وإن سيدتي قاسية.

ملفوليو: أيها المهرج الماجن!

الماجن: وا أسفاه، لماذا كانت سيدتي كذلك؟

ملفوليو: إني اقول إنك مهرج.

الماجن: هل هي واقعة في حب شخص آخر؟ ما هذا الصوت؟

ملفوليو: أيها المهرج الطيب، ناولني شمعة وورقًا وقلمًا وحبرًا، وسأشكر لك هذا الصنيع.

الماجن: أحقًا؟

ملفوليو: نعم.

الماجن: وا أسفاه يا سيدي، لقد فقدت حواسك.

ملفوليو: إني مسيطر على حواسي مثلك على رغم ما بك من الحمق.

الماجن: ولكن انت مجنون، إذا كان عقلك ليس بأفضل من عقل الأحمق.

ملفوليو: لقد قذفت بي في مكان مظلم، وارسلت لي قسيسًا وحميرًا ليقنعوني بأني مجنون.

الماجن: احذر من كلامك، فإن القسيس هنا، وإني لأتمنى من الله يا ملفوليو أن يرد إليك عقلك.

ملفوليو: سير توباس!

الماجن: لا ترد عليه يا سيدي الطيب.

ملفوليو: يا لك من أحمق قذر!

الماجن: وا أسفاه! ما الذي تقوله يا سيدي؟

ملفوليو: أيها الطيب أرجوك أن تعطيني مصباحًا وورقًا وحبرًا، وإنك ستكافأ أكثر من أي مكافأة أخذتها على أية رسالة حملتها من قبل.

الماجن: سأساعدك فيما تطلب، ولكن قل لي ألست مجنونا؟ أو هل تتصنع الجنون؟

ملفوليو: صدقني لست كذلك، وإني لصادق.

الماجن: ولكني لا أصدق رجلًا مجنونًا، سأحضر لك ما تريده، ولكن لا تقل لأحد بأني الذي قد قمت بمساعدتك.

ملفوليو: سأجزيك أحسن الجزاء.

الماجن (يغني): إني ذاهب يا سيدي

وسريعًا يا سيدي

سأكون عندك بما يفي

وداعًا أيها الرجل الشيطان

◆ ◆ ◆

المنظر الثالث
حديقة أوليفيا

(يدخل سبستان)

سبستان : اين أنطونيو؟ فإني لم أجده في فندق الفيل، ولكني أشعر أن هناك شيئًا في الأمر يضللني، ولكن ها هي ذي السيدة قادمة.

(تدخل أوليفيا والقس)

أوليفيا : لا تلمني على عجلتي هذه، وإن كنت صادقًا في نيتك فاذهب معي إلى الكنيسة القريبة، وهناك تقسم على الزواج مني، ويزول عنها الشك، وسيكون الأمر سرًا تذيعه كما تريد أنت أن يذاع، وعندها نحتفل بما يليق بمركزنا ومقامنا.

سبستان : سأذهب معك واقسم وابر بقسمي ان اكون مخلصًا لك دائمًا.

أوليفيا : إذًا تقدم. وارجو أن يبارك الله عملي هذا.

(يخرجان)

❖ ❖ ❖

الليلة الثانية عشر

الفصـــل الخـــامـس

المنظـــــــــر الأول
أمام منزل أوليفيا

(يدخل الماجن وفابيان)

فابيان: هيا أرني خطابه، ودلل على أنك تحبني.

الماجن: اطلب مني أي شيء آخر وإني لفاعله لك عن طيب خاطر.

فابيان: أي شيء؟

الماجن: إلا ان أجعلك ترى ذلك الخطاب.

فابيان: هذا يعني انك تعطيني كلبًا، ثم تطلب مني ان أعطيه لك مرة أخرى.

(يدخل الدوق وفيولا ولوردات)

الدوق: هل أنتم من أتباع السيدة أوليفيا؟

الماجن: بعض اتباعها يا سيدي.

الدوق: أعرفك جيدًا، فكيف حالك أيها الفتى الطيب؟ وهاك قطعة ذهبية لك.

الماجن: إذًا لتجعل القطعة قطعتين.

الدوق: يا لها من نصيحة سيئة.

الماجن: ضع فضيلتك في جيبك هذه المرّة، وسأنصحك نصيحة عليك أن تتبعها وإلا كان ما كان من الأمر.

الدوق: حقًا؟ تلك قطعة نقود أخرى.

الماجن: واحد، اثنان، ثلاثة، لعبة طيبة.

الدوق: لا يمكنك أن تخدعني هكذا لتحصل على نقود أكثر، أخبر سيدتك أني هنا وإلا فاض كرمي عليك أكثر من ذلك.

الماجن: لا عليك، سأحضر ثانية.

(يخـــــرج)

(يدخل أنطونيو والضباط)

الدوق: هذا الوجه أذكره جيدًا، وقد كان ربانًا لباخرة صغيرة الحجم، وقد دمر أكبر أساطيلنا، وهو الذي يمجده الكثيرون تمجيدًا عظيمًا، ماذا هناك؟

الضابط الأول:

يا أرسنو، هذا هو أنطونيو الذي استولى على الباخرة "عمرا نيكس" وما عليها وكذلك السفينة " جَنَىَ" عندما فقد ابن أخيك تَيتس ساقه، وقد قبضنا عليه.

فيولا: لقد صنع معي جميلًا، ودافع عني، ولكنه قال كلامًا لم أفهمه، فأخذته على سبيل التسلية.

الدوق: أيها القرصان المشهور يا سارق البحار، ماذا أتى بك لتقع بين أيدي الناس الذين بينك وبينهم ثأر ودم.

أنطونيو:

إني أعترف أني عدو أرسنو، وهذا الولد الواقف قد أنكر الجميل، فقد أنقذته وهو على وشك الغرق، وقد منحته حبي، ومن أجله خاطرت بنفسي في هذا البلد المعادي، وعندما قبض عليّ أظهر أنه لا يعرفني، وأنكر كيس نقودي الذي ائتمنته عليه للإنفاق منه.

فيولا: كيف يكون الأمر كذلك؟

الدوق: متى قدمت إلى هذا البلد؟

أنطونيو: اليوم يا سيدي، ولمدة ثلاثة أشهر قبل ذلك لم نفترق دقيقة واحدة ليلًا أو نهارًا.

(تدخل أوليفيا والخدم)

الدوق:

ها هي ذي الكونتيس قادمة، أما أنت أيها الفتى فإن كلماتك تنم عن جنون، فلقد كان هذا الشاب في خدمتي منذ ثلاثة أشهر، ولكني سأبحث الأمر فيما بعد، تنحّوا به جانبًا.

أوليفيا: ما الذي يطلبه مني سيدي اللورد، فما يريده مني لا أستطيع أن أمنحه إياه.

فيولا: سيدتي!

الدوق: يا أوليفيا الرشيقة.

أوليفيا: ماذا تريد أن تقول يا سيزاريو الطيب.

فيولا: إن سيدي يريد أن يتحدث، ومن الواجب أن أستمع إلى ما يقول.

الدوق: أما زلت على قسوتك؟

أوليفيا: ما زلت ثابتة على مبدئي يا سيدي.

الدوق: حتى ولو أدى بك إلى الضلال يا أيتها السيدة القاسية، فماذا أنا صانع لك حتى تتخلي عن قسوتك تلك؟

أوليفيا: كل ما يرضي مولاي ما دام يليق به.

الدوق:

ولم لا؟ فإني سأكون مثلما فعل ذلك المصري الذي قتل حبيبته عندما كان على وشك الموت، ولكن هذا لا يهم الآن فاصغي إليّ! بما أني أعرف من هو الذي يحتل مكاني من قلبك، وأني أحبه، فتعال أيها الفتى معي؛ وإني سأضحي بالحمل الذي أحبه.

فيولا: وأنا بكل سرور مستعد عن طيب خاطر كي أموت من أجلك سيدي ولو ألف موتة.

أوليفيا: أين تذهب يا سيزاريو؟

فيولا: إلى من أحبه.

أوليفيا: وتعسًا لي؛ لقد كانت تلك خدعة لي.

فيولا: من الذي خدعك؟

أوليفيا: هل نسيت نفسك؟ أحضر لى رجل الدين الذي شهد خطبتنا.

الدوق: ارحل بعيدًا.

أوليفيا: إلى أين يا سيدي اللورد؟ وأنت يا سيدي الزوج قف.

الدوق: زوج!

أوليفيا: نعم زوج، وهل ينكر هو ذلك؟

فيولا: لا يا سيدي اللورد ليس أنا.

أوليفيا: وا أسفاه؛ إن خوفك يجعلك تتهرب، فلا تخف يا سيزاريو.

(يدخل القسيس)

مرحبًا أيها التقي، وهيا أذع ما كان سرًّا مكتومًا بيني وبين هذا الشاب.

القسيس: لقد تعاهدتما على حب أبديّ، وقويتما ذلك بتبادل الخواتم، وكان ذلك منذ ساعتين.

الدوق: أيها الشبل المخادع!

فيولا: سيدي إني أحتج.

أوليفيا: لا تقسم، وليكن عندك بعض الثقة.

(يدخل سير أندروز)

سير أندروز: يا سادة إني أطلب إليكم أن تطلبوا جراحًا يفحص حالة سير توبي.

أوليفيا: ماذا حدث؟

سير أندروز: لقد جرحني في رأسي، وجرح سير توبي جرحًا بليغًا، أرجوكم أن تسعفونا.

أوليفيا: ولما كان ذلك يا سير أندروز؟

سير أندروز: تابع الكونت سيزاريو، ظهر وكأنه شيطان في بأسه.

الدوق: تابعي أنا؟ سيزاريو؟

فيولا: إني لم أصبك بضر، لقد جرّدت سيفك عليّ بدون أي سبب ولكني لم ألحق بك أي أذى.

سير أندروز: يا لك من وغد دنيء.

(يدخل سير توبي)

ها هو ذا سير توبي، وستسمع منه ما حدث يا سيدي.

الدوق: ما بك أيها السيد؟

سير توبي: لا عليك سيدي فقد جرحني وانتهى الأمر.

الماجن: لقد كان ثملًا يا سير توبي منذ ساعة.

سير توبي: إذًا فهو محتال.

أوليفيا: خذوه؛ من الذي أصابكم هكذا؟

سير أندروز: سأساعدك يا سير توبي.

سير توبي: تساعدني، وما أنت إلا حمار؟

أوليفيا: ضمدوا جراحه.

(يخرج الماجن وفابيان، وسير توبي وسير أندروز)
(يدخل سبستان)

سبستان: إني آسف يا سيدتي لأني جرحت قريبك، فأرجو أن تصفحي عني.

الدوق: وجه واحد، وصوت واحد، ولباس واحد وشخصان! وكأنك ترى الإنسان الواحد اثنين.

سبستان: أنطونيو، يا أنطونيو العزيز! ليتني سمعت نصيحتك، فإني قد فقدتك.

أنطونيو: هل انت سبستان؟

سبستان: وهل تشك في أني سبستان؟

أنطونيو: كيف قسمت نفسك؟ كتفاحتين.

أوليفيا: ما أغرب هذا!

سبستان: ما هذا الي اخ يشبهني؟ لا، لقد كانت لي أخت قد غرقت بين الأمواج، من انت بحق السماء؟ ومن أي الأقطار انت؟ وما اسمك وما اسم والديك؟

فيولا: إني من مسلّين، ووالدي سبستان، وكان لي اخ يدعى سبستان أيضًا مثل هذا الماثل أمامكم، وقد غرق في البحر بملابسه.

سبستان: مرحبًا، مرحبًا يا فيولا الغريقة.

فيولا: كان لوالدي خال على حاجبه.

سبستان: وكذلك والدي.

فيولا: ومات بعد أن بلغت سن الثالثة عشرة.

سبستان: أذكر ذلك، ولقد قضى نحبه في اليوم الذي بلغت فيه أختي السادسة عشرة.

فيولا:

إذا كانت ملابس الرجال هذه هى التي تمنعنا من أن نكون سعداء، فلا تعانقني حتى تأتى الفرصة لتثبت لك أني فيولا، لذا سآخذك إلى ربان في هذا البلد حيث تجد ملابسي هناك عندما كنت فتاة كما كنت أنا، هو الذي ساعدني على أن أخدم هذا الكونت النبيل.

سبستان (إلى أوليفيا): وهذا هو السبب في خطئك يا سيدتي، واقسم بحياتي إنك لم تنخدعي لأن ذلك العقد إنما يكون عقدك على رجل وامرأة.

الدوق: لا تندهشي، فإذا كان اختًا وأخًا، فسآخذ نصيبي من هذا اللقاء السعيد.

(**إلى فيولا**): أيها الفتى، لقد قلت لي الف مرة أنك تحبني أكثر من أي إمرأة.

فيولا: وكلي حرارة لذلك.

الدوق: هات يدك ودعيني أراك في ملابسك النسائية.

فيولا: إن الربان الذي جاء بي وهو الآن رهن السجن لأمر ارتكبه نحو ملفوليو أحد اتباع سيدتي.

أوليفيا: سيفرج عنه، أحضر ملفوليو، ولكن هم يقولون انه قد جن جنونه.

(يدخل مرة ثانية الماجن ومعه خطاب، وفابيان)

الماجن: إنه يعبد الشيطان، ولقد كتب خطابًا لك هذا الصباح.

أوليفيا: افتح الخطاب واقرأه.

الماجن (يقرأ): "اقسم بالله يا سيدة".

أوليفيا: ما الخبر؟

الماجن:

لا يا سيدتي، إني أقرأ لغة المجانين التي سطرها ملفوليو، وإذا أردت سيدتي أن أقرأها كما يكتبها أي مجنون فعليّ أن أغير نبرة صوتي.

أوليفيا: اقرأها كما هي.

(إلى فابيان): اقرأها أنت يا سيدي.

فابيان (يقرأ):

والله يا سيدتي إنك تظلمينني، وسيعلم ذلك العالم؛ ومع أنك وضعتني في مكان مظلم، وجعلت عمك السكير يتحكم في أمري، فإني أخبرك أني لست مجنونًا، ومعي خطابك الذي أمرتني فيه بما تحبين، أما إذا لم تعترفي بأنه منك فسيصيبك الخجل، وفكري فيّ.

(الإمضاء ملفوليو الذي عومل معاملة المجانين)

أوليفيا: هل كتب ذلك؟

الماجن: نعم يا سيدتي.

الدوق: لا يدل هذا على ذهول عظيم.

أوليفيا: علينا به يا فابيان وأحضره هنا.

(يخرج فابيان)

إذا سـرك أيهـا الـدوق بعـد أن تنظـر في أمـر ملفولـيو أن تجعلـني زوجـة لسبـستان وأختـًا لـك بـزواجـك مـن فـيولا هـنا في منزلـي علـى حـسابي الخاص.

الدوق: إني أقبل عرضك.

(**إلى فيولا**): من هذا اليوم ستصبحين زوجة سيدك.

أوليفيا: إني أعانقك كأخت.

(يعـود فـيدخـل فـابيان ومـلفـولـيو)

الدوق: هل هذا هو المخبول؟

أوليفيا: نعم يا سيدي هو، كيف الحال يا ملفوليو؟

ملفوليو:

يا سيدتي لقـد أسـيء إلـيّ، واقرئـي هـذا الخطـاب بخطـك وخاتمـك، ولـو انـي أثق من أنـك لا تنكرين ذلـك فاعترفي به إذًا، وأخبريني بحق الصدق لماذا كنت صريحة في عطفك عليّ؟ وأمرتني بما في الخطاب، ولماذا بعد أن أطعـتـك وأمّلـت في حـبـك سمحـت بـسجني، وقـد زارنـي القـسيس، وعرضتني لكل احتقار يتصوره الإنسان، قولي لي لماذا كان ذلك؟

أوليفيا:

وا أسـفاه! هـذا ليس خطـي، إلا أنه تقليد متقن، ولكن لا شـك في أنه خط ماريـا، وهـي كانـت أول مـن قـال لـي أنـك مخـبول.. ولقـد صـدقت هـذه الخدعة الخبيثة.

فابيان:

أيتها السيدة النبيلة، إني أعترف بكل صراحة أني وتوبي قمنا بهذه الخديعة نظرًا لما أبداه لنا من سوء الأدب، فلقد كتبت ماريا الخطاب بعد إلحاح شديد من السير توبي، وقد كافأها على ذلك بأن يتزوج منها، وكان القصد منها التسلية لا الانتقام.

أوليفيا: وا أسفاه!

الماجن: "بعض الناس يولدون عظماء، وبعضهم يكتسب العظمة، والبعض الآخر تُرْمَى العَظَمة عليهم"، فقد أديت شخصيتين في تلك المسرحية،

(سير توباس والماجن).

ملفوليو: سأنتقم منكم جميعًا.

أوليفيا: لقد أسيء إليه.

الدوق: هيا استرضوه، ولكنه لم يخبرنا بعد عن اسم الربان.

(يخرج الجميع ما عدا الماجن)

الماجن (يغني):

عندما كنت ولدًا صغيرًا

وكنت أغني هو هي

هبوب الريح ونزول المطر

كل يوم

هي هو .....

وليذهب الشر إلى الجحيم

هي هو .....

صرت أغني هي هو ....

لأن المطر ....

وذهبت إلى فراشي

وصرت أغني هي هو ....

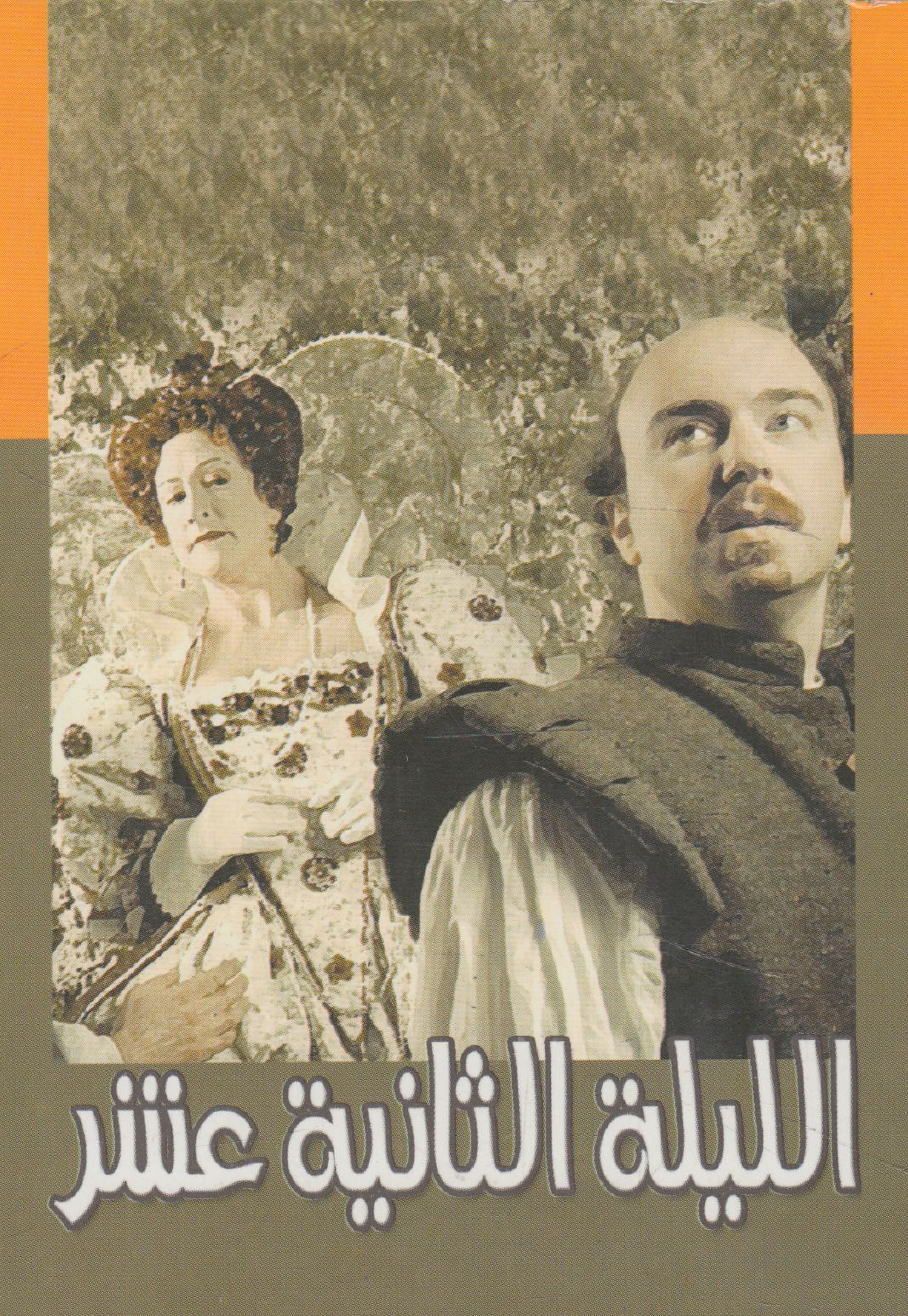
لأن المطر ....

ومنذ أمد بعيد خلقت الدنيا

وصرت أغني هي هو ...... الخ

(يخـــــرج)

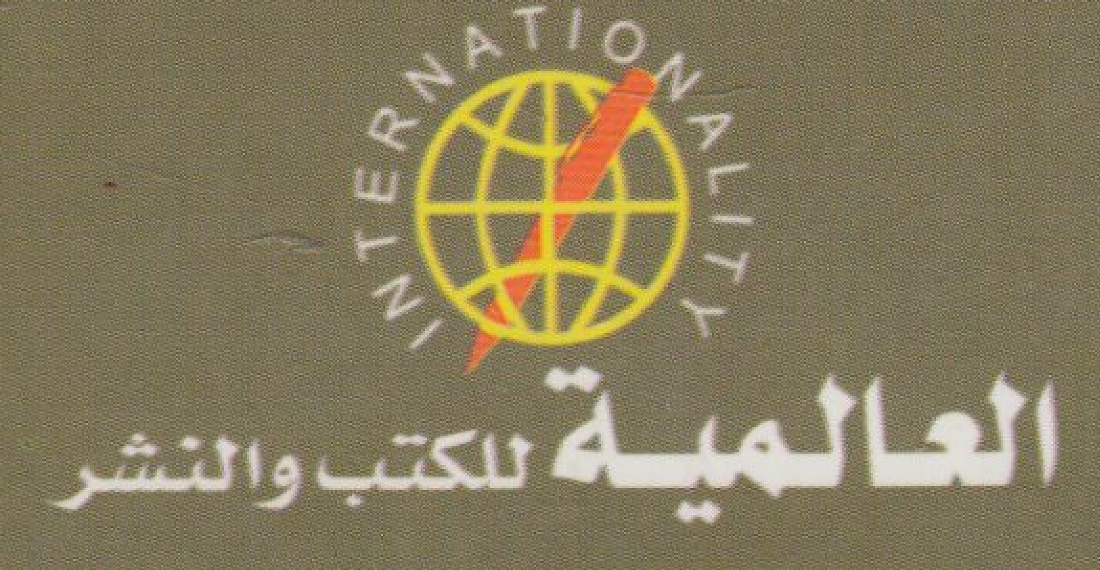
(تمـت بحمد الله)



الليلة الثانية عشر







العالمية للكتب والنشر